المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

القرآن الكريم

التفسير

للصف الثالث الثانوي

طبعة ١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ
٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

توزع مجانا ولا يباع

ح وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية، وزارة التربية والتعليم
التفسير للصف الثالث الثانوي مدارس تحفيظ القرآن . وزارة التربية والتعليم - الرياض، ١٤٢٦ هـ
٢٠٠ ص؛ ٢١ x ٢٣ سم
١ - القرآن - تفسير - كتب دراسية ٢ - التعليم الثانوي - السعودية - كتب دراسية
أ - العنوان

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه...

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به...

حقوق الطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية والتعليم - المملكة العربية السعودية

موقع وزارة التربية والتعليم
www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa /curriculum /index.htm

بريد وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه رب العالمين الذي أنزل كتابه الكريم قرآناً عربياً لقوم يعقلون، وفصل آياته لقوم يعلمون، والصلاة والسلام على محمد بن عبد اللّه خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام الهدى والمتقين، وخير من عقل عن اللّه ما أنزل من كلامه، وعلم عنه ما فصل من آياته ، فكان بيانه لأمته هو البيان، وفي التمسك ببيانه وهديه العصمة والأمان، صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام .

أما بعد :

فهذا كتاب التفسير للسنة الثالثة الثانوية بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بالرئاسة العامة لتعليم البنات وفق المنهج المعتمد المتضمن تفسير السور القرآنية التالية : (يس ، الصافات ، ص ، الزُّمَر) وقد قصد به ما يلي :

١- تزكية نفوس الطالبات بما اشتمل عليه القرآن الكريم ، ومن تقرير أصول العقيدة الصحيحة وتربيتهن بما جاء فيه من قصص القرون الأولى، وأحوال الآخرة وما فيها من جزاء.

٢- إثارة ملكة الفهم لدى الطالبات وحفزهن على استيعاب معاني القرآن الكريم، وفهم أحكامه ومقاصده والوقوف على هديه في جوانب الحياة المختلفة، بغية العمل الجاد لبناء الحياة الحديثة في المجتمعات الإسلامية، طبقاً لهذا الهدي الذي يحقق للإنسانية رقيها وسعادتها.

٣- إمداد الطالبات بثروة لغوية في شرح الآيات القرآنية، سواء في مفرداتها أو في معانيها الإجمالية، كي يمكنهن الاستفادة منه في التعبير عما في نفوسهن من معان، بألفاظ فصيحة ويسيرة ، وبأساليب متنوعة.

٤- إبراز أوجه الإعجاز القرآني المتنوعة أمام الطالبات في صور تتناسب مع مستواهن وإدراكهن خاصة في الجوانب اللغوية والتشريعية، وما تعرض له الآيات ـ بالإشارة أو الإجمال ـ من أسرار الكون ومظاهر مخلوقات اللّه الدالة على عظمته وقدرته، كي تدرك الطالبات أن التحدي

القرآني ـ الذي وجه به أساطين البلاغة والبيان في عصر التنزيل ـ ما زال قائماً وموجها إلى الإنسانية كلها، التي أعجزها من قبل وما يزال حتى يوم الدين.

وقد راعينا في هذا التفسير: تحقيق هذه الأهداف ، من خلال الخطوات المنهجية التالية :

أولاً: تقديم موجز للسورة القرآنية وتعريف بها تحت عنوان (بين يدي السورة) ويشتمل على:

أ) حديث عن اسمها الذي عرفت به وغيره من أسماء إن وجدت.

ب) مكية السورة أو مدنيتها وعدد آياتها .

ج) فضائل السورة وما ورد فيه من آثار مع الالتزام بالصحيح من الآثار في ذلك.

د) أهم موضوعات السورة ـ بإيجاز ـ مع عدم شرحها أو ذكر أرقام الآيات التي عرضتها.

ثانياً: تفسير السورة وقد التزمنا فيه ما يلي:

أ) تقسيم السورة إلى مقاطع يضم كل منها مجموعة من الآيات تجمعها ـ غالباً ـ فكرة واحدة أو تعالج موضوعاً بعينه ، جعلناه عنواناً لهذا المقطع.

ب) كتابة آيات المقاطع المفسرة بالرسم العثماني، وذلك السبب الصحيح لنزولها إن وجد.

ج) ذكر معاني المفردات وشرح غريبها والمراد بها في سياقها في جدول مستقل.

د) المعنى الإجمالي لآيات كل مقطع، مع مراعاة سبك المعنى، وترابط معاني الآيات واتصالها بما قبلها وما بعدها.

هـ) وإتماماً للفائدة : قمنا باستنباط الفوائد من المقطع المفسر ، وتسجيلها مستقلة عقب معناها الإجمالي، والاستشهاد لكثير منها بآيات القرآن الكريم والآثار الصحيحة التي بمعناها.

و) كما أتبعنا ذلك بمناقشة وأسئلة تثير في الطالبات محصولهن العلمي وتشحذ عقولهن للتفكير والتدبر أثناء التحصيل والدرس ، وتذكرهن بأهم ما تضمنته مقاطع السورة.

وهذا وقد التزمنا في تنفيذ هذه الخطة ـ ما وسعنا الالتزام ـ الضوابط المحددة التي تضمن سلامتها وصحة المنهج للوصول إلى الأهداف سالفة الذكر، ومن ذلك : توخي المصادر الموثوقة والإحالة إليها، والالتزام في مجال العقيدة بصريح الكتاب والسنة، والاقتصار في تفسير الآيات ومعانيها على الراجح منها، والإشارة إلى غيره نادراً ، إن كان لذلك فائدة معتبرة ، وعزو الآيات إلى سورها وأرقامها فيها، وتخريج الأحاديث في كتبها وأبوابها من الصحاح والسنن مع ذكر رواتها ، وإبراز الحقائق القطعية في المعارف البشرية المجملة ـ أو المشار إليها ـ في القرآن الكريم ، والتنبيه على هدي القرآن الكريم وخاصة فيما يمس واقع الحياة الحاضرة وتشتد حاجة الناس إلى معرفته لإصلاح حياتهم، وغير ذلك من ضوابط يلحظها القارئ ولا يفتقدها أبداً واللّه الموفق.

المـؤلـف

الفصل الدراسي الأول

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

وردت تسمية السورة عن الرسول ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وغيره، في حديث طويل عن معقل بن يسار ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « البقرة سنام القرآن وذروته ... ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم » [1].

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة « يس » بعد سورة « الجن» وتأتي في المرتبة الحادية والأربعين من حيث نزول سور القرآن الكريم، على حين يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة السادسة والثلاثين، وقد نقل القرطبي إجماع العلماء على مكية السورة ويدل عليه ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سورة « يس» نزلت بمكة).

وعدد آيات السورة ثلاث وثمانون آية عند قراء الكوفة [2] الذين حصرت آيات المصحف على قراءة أحدهم، وهو عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) برواية حفص بن سليمان.

(ج) فضائل السورة :

أخرج الإمام أحمد وغيره عن معقل بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قال : « ... ويس قلب القرآن لا

(١) الفتح الرباني ـ باب سورة البقرة وما جاء في فضلها ١٨/ ٧٠، سورة يس باب ما جاء في فضلها ١٨/ ٢٥٣.

(٢) وعند قراء المدينة ثنتان وثمانون آية راجعي : غيث النفع ص ٣٣١، المكتفى في الوقف والابتداء ص ٤٧٢، والتبصرة ص ٤٧٩.

يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم »[1]، وأخرج البزار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « لوددت أنها ـ يعني يس ـ في قلب كل إنسان من أمتي »[2].

(د) أهم موضوعات السورة :

والموضوعات الرئيسة في هذه السورة بعامة هي موضوعات السور المكية، وبخاصة المبتدأة منها بالحروف المقطعة، وهي الموضوعات التي تستهدف بناء أسس العقيدة، والاستدلال لها بالمشاهدة الحسية، والتأمل في كون الله ومخلوقاته، ومحاورة الكفار والمشركين، وسوق الأمثال والقصص، ليفتح الله بهذه الموضوعات قلوب البشر ، ويحيي نفوسهم.

١- فالسورة تعرض للوحي وصدق الرسالة والرسول ﷺ ، وتحذر من عاقبة التكذيب بها فيما تعرضه من عاقبة الرجل المؤمن وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون، وفيما تقره من نفي الشعر عن القرآن الكريم ، والشاعرية عن رسول الله ﷺ.

٢- وتعرض السورة لموضوع الألوهية والتوحيد ، وإبطال الإلحاد والشرك في عبادة الله .

٣- أما الموضوع الذي يشتد تركيز السورة عليه من موضوعات العقيدة، فهو البعث والنشور ، وقيام الناس لرب العالمين ، الذي يشيع في السورة من أولها حتى آخرها.

---

(١) راجعي الفتح الرباني ١٨/ ٧٠ ، ٨٢٥٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٦٣ ، فتح القدير ٤/ ٣٥٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا
أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة يس) .

سـبب النـزول :

من القرآن ما نزل ابتداء على رسول الله ﷺ لتعليم الناس دينهم ، دون تعلق لهذا النزول بسبب معين ، أو ارتباط بحادثة خاصة ، أو سؤال عن شأن من شؤون الناس ، وغالب القرآن الكريم من هذا القسم، أما ما نزل من القرآن الكريم متعلقاً بسبب معين، أو ارتبط نزوله بحادثة أو إثر استفهام ما وغير ذلك، فيقال عنه : إن سبب نزوله كذا ، أو إنه نزل بسبب كذا على ما عليه عبارات العلماء بأسباب النزول.

ولا يفهم من هذا بالطبع أنه لولا هذا السبب أو ذلك الاستفهام ما نزلت هذه الآيات، وإنما كان ذلك الارتباط لحكمة يعلمها الله في مصاحبة نزول هذا القدر من القرآن الكريم لذلك السبب أو هذا الاستفهام، وإن كان المعتبر دائماً في مثل هذا هو عموم اللفظ المنزَّل من القرآن الكريم ، دون خصوص السبب، أو الشأن الذي نزل فيه.

ويروى هنا مع تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ . . . ﴾ [يس :١٢] عن أبي سعيد الخدري أن بني سلمة اشتكوا إلى رسول الله ﷺ بُعْدَ منازلهم عن المسجد، فأرادوا الانتقال عنها إلى قريب من المسجد، فنزلت الآية[١].

هذا الذي روي عن أبي سعيد ، فيه غرابة من حيث ذِكْر نزول هذه الآية ، والسورة بتمامها مكية على نحو ما نقل القرطبي من إجماع العلماء ، وغاية ما يقال في هذا : إنه من معنى هذه الآية، بدليل ما جاء في هذه الرواية من قول الرسول ﷺ لبني سلمة، وأخرجه مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال : خَلَت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قُرْب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم :

« يا بني سلمة ديارَكم تُكتَبْ آثارُكم ، ديارَكم تُكتَبْ آثارُكم »[٢].

---

(١) سنن الترمذي ١٢/ ١٠٦-١٠٧ ، أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٤ .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ـ باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد ١/ ٤٦٢ .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يس	: معناه يا إنسان والمراد محمد ﷺ : وقيل : إنه من الأحرف المقطعة ، التي صيغ القرآن الكريم من جنسها[1] .
والقرآن الكريم	: الواو للقسم ، وجوابه ما ذكر بَعد ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، والحكيم المحكم الآيات من الإحكام ؛ وقيل : من الحكمة .
صراط مستقيم	: طريق معتدل ، والمراد رسالة الإسلام ودين الأنبياء من قبل .
ما أُنذِر آباؤُهم	: (ما) نافية ، والمعنى : لم ينذر آباؤهم الأقربون ، وإن أُنذِر آباؤهم الأقدمون بإسماعيل عليه السلام[2] .
حق القول	: ثبت العذاب ووجب ؛ لإصرار أصحابه على الكفر وموتهم عليه.
أغلالاً	: قيوداً تَشُدُّ أيديهم وتجمعها إلى أعناقهم .
مقمَحُون	: المقمح : المرفوع الرأس الغاض البصر .
سداً	: مانعاً وحاجزاً يمنعهم عن الإيمان.
فأغشيناهم	: غطيناهم وألبسنا أبصارهم غشاوة.
بالغيب	: ما خفى عن الأنظار والأبصار من السرائر وغيرها.
فبشره	: فعل الأمر من البشارة وهي ـ في الأصل ـ الإخبار بشيء سار تنبسط له بشرة المخبر.

(١) راجعي في معناها أقوالاً أخرى عند الشوكاني ، فتح القدير ٤/ ٣٥٩ .

(٢) ويجوز أن تكون (ما) هي الموصولة أو المصدرية ؛ والذي في الأصل هو الأولى.

وآثارهم : أعمالهم الصالحة أو السيئة ، التي لا ينقطع أثرها بعد موتهم. أو المراد بها خطاهم التي يمشونها إلى المساجد.

أحصيناه : أثبتناه باستقصاء واستيعاب ، فلا يند منه شيء.

إمام مبين : كتاب موضح لكل شيء كصحائف الأعمال ، أو المراد به اللوح المحفوظ.

المعنى الإجمالي للآيات :

في هذه الآيات التي افتتحت بها سورة « يس » يخاطب الله عز وجل رسوله ﷺ ، ويقسم له بالقرآن ذي الحكمة والإتقان ، أنه ﷺ واحد من المرسلين وأن طبيعة رسالته الاستقامة التي لا عوج فيها ، فالحق فيها واضح قريب.

والقرآن الكريم : هو أساس الصراط المستقيم ؛ لأنه منزل من الله العزيز القوي في ملكه والرحيم بخلقه فيما نزَّل إليهم .

أما غاية تنزيل القرآن الكريم فهي : إنذار قوم طال عليهم الزمن، دون أن ينذرهم منذر، حتى غفلت قلوبهم ، فكان الإنذار هو اللائق بالقوم[1] لتنبيههم من غفلتهم عن طريق الحق.

ويكشف الله سبحانه عن مصائر هؤلاء الغافلين، فيقسم باستحقاق أكثرهم عذابَه قضاء وقدرا، بما علم الله من حقيقتهم التي آثرت الضلال على الهدى، وحيل بينها وبين الإيمان حيث قيدت أيديهم بأعناقهم تحت أذقانهم ، وأحاطتهم الحواجز والسدود، وغشيت أبصارهم، فما عادت بهم قدرة على تجاوز الباطل وإدراك الحق.

---

(١) يرى بعض المفسرين أن المراد بالقوم العرب، وليس هذا بقادح في عموم رسالته ﷺ ، فذكر العرب وحدهم لا ينفي غيرهم ، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم ، والإجماع منعقد ـ بعد الآيات والأحاديث المتواترة ـ على عموم رسالته ﷺ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٤ ، ٣/ ٥٦٤ .

وهكذا يكون حال من قضى فيهم بأمره فجعل على أبصارهم غشاوة لا يفيدهم الإنذار ولا تنفعهم الموعظة، ويستوي لديهم إنذارهم وعدم إنذارهم ؛ لأنهم لا يؤمنون بالحق ولا يرضون الإيمان.

أما الذي ينتفع بالموعظة ويفيده الإنذار ، فهو الذي اتبع ذكر الله وكلامه ، واتقى الله وخافه دون أن يراه ، كأنه وحده الذي وُجِّه إليه الإنذار ، ودُعي إلى الحق والإيمان ، ومَن ثَمَّ كان هذا ـ وحده كذلك ـ المستحِق للبشارة بمغفرة ما وقع من آثام غير مُصِرّ عليها ، ثم الأجر الكريم في جنة عرضها السماوات والأرض.

أما وقت تحقيق هذه البشارة فهو يوم يبعث الله الخلق لمحاسبتهم على ما قدَّموا في الدنيا من أعمال وما خلفته أعمالهم ـ بعد موتهم ـ من آثار ، فإن الله سبحانه الذي يحيي الموتى هو الذي يكتب ما قدموا وآثار ما عملوا، وهو الذي يحصي هذا ويثبته، كل ذلك على ما يليق بجلاله وكماله.

وهكذا تشهد الآية بعموم معناها، الذي يتجاوز ما قيل في سبب نزولها، وهو العموم الذي يوضحه ما روي عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال : « مَنْ سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها بعده مِن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها مِنْ بعده، مِنْ غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[1]، وقوله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، إلا مِن صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[2].

من فوائد الآيات :

١- تعظيم الله سبحانه لمحمد ﷺ والقرآن الكريم ، حيث أقسم له بالقرآن على صدق رسالته ﷺ واستقامتها ، وهو أبلغ رد على منكري الرسالة من المشركين والكفار.

(١) أخرجه مسلم من رواية المنذر بن جرير عن أبيه ، كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة. راجعي : الصحيح ٢/ ٧٠٥ .

(٢) أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة، كتاب الوصية ـ باب ما يلحق الإنسان من الصواب بعد وفاته . راجعي الصحيح ٣/ ١٢٥٥ .

٢- الإخبار عن القرآن الكريم بأنه منزَّل من العزيز الرحيم إشارة إلى مكانته العظيمة عند الله ؛ لأنه معجزة الدين الباقية والدليل على صدق محمد ﷺ ورسالته.

٣- إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى على خلقه، لأن التنزيل لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل.

٤- إن مَن حقت عليه كلمة الله وعذابه، لا ينفع مع نصح ناصح ولا إنذار منذر، فهو يتقلب في الكفر ليله ونهاره ، ثم هو يوم القيامة مردود إلى أشد العذاب وبئس المصير.

٥- أن فعل العبد كله ـ ما تقدم في حياته وما تأخرت آثاره بعد موته ـ معلوم للّه ومكتوب في صحيفة عمله، ثم هو مُحاسب عليه إن خيراً وإن شراً ، قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧].

٦- أن فعل الله الذي يختص به كإحياء الموتى يأتي مسند إلى ضمير العظمة، وسائر أفعاله الأخرى ـ كالكتابة ـ لا تماثل أفعال المخلوقين ؛ لأن كل فعل على ما يليق بفاعله ويناسبه، والله جل وعلا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١].

٧- أن بعث الخلائق وحشرَهم بأجسادهم وأرواحهم ومحاسبتهم في الآخرة كُلَّه حق، وثابت بالنقل والعقل، وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية ، لا ينكره ـ أو يشك فيه ـ إلا خارج عن الملة وحائد عن الصراط المستقيم.

١- ماذا تعرفين من فضل سورة يس ؟ وما أهم موضوعاتها ؟

٢- يروى في نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾ سبب خاص ، فهل تتفق الرواية مع مكية السورة ؟ وأي الاعتبارين أولى في فهم الآية (عموم لفظها أم خصوص سببها) ؟

٣- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : «يس ، حق القول ، أغلالاً ، مقمحون ، أحصيناه، إمام مبين».

٤- ما موضوع هذا المقطع؟ وما الذي يدل عليه قسم الله بالقرآن ؟ وما جواب القسم في الآيات ؟

٥- أقسم اللّه بالقرآن على شيئين فما هما ؟ وما الغاية من المقسَم عليه ؟ وكيف ينفي الله إنذار آباء القوم والواقع التاريخي يشهد بإنذارهم ؟

٦- ما سبب رفض المشركين والكافرين للإسلام ووجوب العذاب عليهم ؟ وهل في ذلك جبر عليهم أو إكراه ؟ ناقشي المسألة في ضوء ما تعرفين من أصول العقيدة.

٧- من القوم المُنذَرُون ؟ وكيف توفقين بين عموم رسالة محمد ﷺ وخصوص إنذاره لمتبعي الذكر الظاهر من الآيات ؟

٨- يحاسب الإنسان بآثار ما عمل في حياته، ما الأصول الجامعة لهذا الأمر من نصوص الكتاب والسنة ؟

٩- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، واشرحي واحدة منها ؟

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا

يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾
وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

(سورة يس) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
واضرب لهم مثلاً :	المثل هنا الحال والقصة، والمعنى: اذكر يا محمد لحالك مع المشركين حال أصحاب القرية مع رسلهم.
القرية :	قيل : إنها أنطاكية ، كما قيل عن الرسل : إنهم أصحاب عيسى،ولا دليل على القولين ولا يتعلق بمعرفتهما غرض معتبر.
المرسلون :	
فعززنا بثالث :	قويناهما به ، وقرئ مخففاً فعَزَزْنا بمعنى غلبنا.
إنا إليكم مرسلون :	أكد الرسل كلامهم لسبق تكذيبهم القوم للاثنين ، ثم أعادوا التأكيد أبلغ ما يكون ، لتكرر التكذيب.
إن إليكم لمرسلون :	
تطيرنا بكم :	تشاءمنا منكم ، وتوقعنا الشر في دعوتكم.

لنرجمنكم : لنرمينكم بالرجام والحجارة حتى الموت.

طائركم معكم : أي حظكم وشؤمكم من نفوسكم وأعمالكم ، وليس من دعوتنا إياكم.

أئن ذكرتم : استفهام تعجب، وشرط محذوف الجواب، والمعنى إن أمركم لعجب! ألئن دعوناكم تطيرتم وتشاءمتم ؟! أو ترجموننا وتعذبوننا؟!

مسرفون : الإسراف : المبالغة في الشيء ومجاوزة الحد فيه، والمراد أنكم مفسدون بمجاوزتكم الحق وتهديدكم للرسل.

أقصى المدينة : أبعد مكان في المدينة.

فطرني : خلقني وأبدعني.

لا تغن شفاعتهم ولا ينقذون : الشفاعة الوسيلة والسعي في الخير للغير، والمقصود أنها ـ من المعبودات الباطلة ـ لا تحقق ما يغنيه أو يفدي بها نفسه مما ينالها ؛ لأن الشفاعة لا تجوز لغير الله إلا من بعد إذن الله للشفيع ورضاه عن المشفوع له[1].

جند من السماء : المراد بهم هنا ملائكة العذاب، بدليل ما بعده من وقوع عقابهم بالصيحة.

صيحة واحدة : صوتاً مهلكاً من السماء.

خامدون : مهلكون ميتون كخمود النار بعد لهيبها.

المعنى الإجمالي للآيات :

تعرض آيات هذا المقطع قضايا العقيدة ومواقف الناس منها ، من خلال قصة واقعية ، وهي قصة أصحاب القرية والمرسلين الثلاثة ، تلك القصة التي صارت مثلاً في التاريخ للعظة والاعتبار .

وها هو رسول اللّه ﷺ يأمره ربه بذكر هذه القصة مثلاً لقومه ؛ لانطباقها عليهم فأهل هذه القرية يرسل اللّه لهم رسولين ـ كما أرسل موسى وأخاه هرون إلى فرعون وملئه ـ ولكن أهل القرية كذبوهما،

(١) راجعي : شرح العقيدة الواسطية ص ١٥٩.

فقوى اللّه الرسولين وأيدهما برسول ثالث ليتقدموا ثلاثتهم بدعوتهم من جديد ، مؤكدين لقومهم أنهم رسل اللّه أتوهم بالهدى والخير من عنده .

ولكن أهـل القـرية أصروا على كفرهم وعنادهم ، وسوغوا تكذيبهم وإصرارهم بهذه الاعتراضات الثلاثـة :

١- فالرسل ـ في نظرهم ـ ليسوا كذلك ؛ لأنهم بشر مثلهم وليسوا خلقاً فوق مستوى البشر، وغفل هؤلاء عن ضرورة أن يكون الرسل من جنسهم، ليتحقق بحملهم الرسالة المثال الذي يدعونهم لتحقيقه وتقليده.

٢- وخلاصة الاعتراض الثاني أن الرحمن لم ينزل شيئاً مما يدعيه هؤلاء؛ إذ لم يعهدوا واقعة واحدة أنزل الرحمن فيها شيئاً من عنده.

٣- وما دام الرسل بشراً ولم ينزل الرحمن من شيء فما يراهم قومُهم إلا كاذبين على الله فيما ادعوه وكاذبين على خلقه فيما زعموه من إرسالهم إليهم.

ويكرر الرسل دعوتهم ـ في ثقة الصادقين ـ حيث ردوا العلم برسالتهم إلى الله كأنهم يستشهدون بعلمه على إرسالهم مؤكدين أن مهمتهم منحصرة في الدعوة إلى الله والبلاغ الواضح عنه.

ولما نفد إنكار القوم ضاقوا ذرعاً بالرسل، وأظهروا تشاؤمهم من دعوتهم وتوعدوهم إما أن يتخلوا عن دعوتهم أو يكون للقوم شأن آخر معهم ينالهم فيه صنوف الهوان والإذلال من القتل بالحجارة مرة وإيقاع العذاب الأليم بهم أخرى.

ولقد أقسم القوم على عزمهم ، ولكن رسل الله لم يأبهوا لخرافاتهم وتهديداتهم، ومضوا يبينون لهم أن ما يصيبهم من خير أو شر إنما ينالهم بأعمالهم، وليس صحيحاً ما اعتقدوه من التشاؤم بالدعوات أو الأشخاص، وأنهم مغالون في إعراضهم عن الحق وتهديدهم من يذكرهم به.

وإذا كان موقف أهل القرية مماثلاً لمن أُغلِقَت قلوبهم فقد كان من آمن منهم مثالاً لمن اتبع ذكر

الله وخشيه بالغيب إنه مؤمن هذه القرية الذي سمع بدعوة الرسل ـ وهو أقصى ما يكون بعداً عنهم ـ فتجاوبت بها نفسه ، وسعى لمناهضة الباطل لدى قومه وكفهم عن البغي والاعتداء على رسل الله. ويترفق المؤمن بقومه وهو يواجههم : يا أهلي اتبعوا هؤلاء المرسلين فما أراهم يطلبون على ما جاؤوكم به أجراً، وما يدعونكم إلا لما اهتدوا إليه من عقيدة التوحيد الصحيحة.

وينصح المؤمن قومه ـ في تعريض بهم ، واستنكار لموقفهم ـ أيّ مانع يمنعه من عبادة ربه الذي فطره وأبدعه؟ وهل يليق بكم أن تعبدوا غير الله وقد بدأكم أوّل مرة، ثم تعودون إليه وترجعون ؟ وإذا لم تكن عبادة المبدئ والمعيد هي العبادة فهل عبادة غيره مِمَّن لا يخلقون شيئاً ولا يدفعون عن أنفسهم أو غيرهم ضراً أريد بهم ولا يغنون شيئاً ـ هل عبادة هؤلاء هي العبادة ؟! إن هذا لهو الضلال الذي لا هدى بعده والخسران الذي لا فلاح وراءه.

وما لبث المؤمن أن أفصح عن إيمانه وأشهد قومه عليه ، غير مكترث بما يقولون أو آبه بما يتهددون، ويوحي سياق الآيات بعدُ أن القوم لم يمهلوا الرجل حتى قتلوه ، فكان مآله الجنة وغفران الله له، وإعطاءه من المنزلة والكرامة ما يليق بمقام المؤمنين الشجعان والشهداء المخلصين، ويتذكر الرجل قومه في آخرته متمنياً لو يعلمون من حميد عاقبته ليؤمنوا ويصيروا إلى مصيره، ولكن شتان شتان بين أمنياته لهم ومشيئة الله فيهم، لقد حق عليهم عذاب الله، ولكنهم كانوا أهون على الله من أن يرسل جنده بعذابه إليهم، وإنهم لأحقر شأناً من تدمير ملائكة الله لهم، بل تكفيهم صيحة واحدة من أحدهم فإذا هم بعدها موات لا حراك لهم ولا حياة.

من فوائد الآيات :

١- إن المبادئ النظرية والقضايا التقديرية تتمكن في النفوس، وإذا سيقت في صورة قصصية أو واقع ملموس للناس.

٢- أن حجج الباطل داحضة في مواجهة الحق ودلائله ، ولذا يلجأ أهل الباطل إلى الغدر بالحق وأهله ويبطشون بهم.

٣- من واجب الدعاة تسلحهم بالصبر في وجه الباطل ، والإيمان بأن ليل الباطل مؤذن ببزوغ فجر الحق.

٤- أن شُبَه المشركين والكفار على رسلهم واحدة لم تتغير على طول التاريخ ، ولا تخرج عن : بشرية الرسل ، عدم إنزال الله شيئاً عليهم ، كذب الرسل.

٥- أن الطيرة والتشاؤم لا أساس لهما من دين أو عقل ، فلا ينتج رأي صحيح من خرافة ووهم ، وأصل ذلك قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل : الكلمة الطيبة، الكلمة الحسنة »[1].

٦- من أهم دلائل صدق الدعاة تجردهم عن الأغراض والمنافع العاجلة ، وتمثلهم مبادئ دعواتهم في حياتهم .

٧- أن كل الأولياء والمعبودين ـ من دون الله ـ لا يملكون لِعُبَّادهم نفعاً أو ضراً ، بل لا يملكون شيئاً من ذلك لأنفسهم.

٨- اعتزاز المؤمن بإيمانه والجهر به وإعلانه أمام الولي والعدو ولو كلفه ذلك حياته.

٩- من نال خيراً أو علماً لم يستأثر به بل يدعو إليه أهله وأحباءه ويشركهم معه فيما أحب ورضي، وهذا شأن النفوس المؤمنة التي تفيض بالخير لأعدائها قبل أوليائها ، بل تتمناه لهم في الدنيا والآخرة، وهو سمت المؤمن الذي عرضه القرآن.

---

(١) أخرجه الشيخان عن أنس ﷺ ، راجعي : فتح الباري ـ كتاب الطب ـ باب الفأل ١٠/ ٢١٤، صحيح مسلم ـ كتاب السلام باب الطيرة ٤/ ١٧٤٦ .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مثلاً ، فعزَّزْنا ، تطيرنا ، مسرفون ، يسعى ، فطرني ، خامدون » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ ولم جاء عرضه في شكله القصصي ؟ وما القرية المذكورة ؟ ولماذا لم تذكر أسماء رسلها ؟

٣- وضحي كيف انطبق موضوع هذا المقطع على موضوع سابقه مبرزة :

١) الموقفين المتقابلين في كل منهما .

٢) أصحاب الموقفين .

٣) عاقبة كل منهما .

٤- (سوغ الكفار تكذيبَهم باعتراضات ثلاثة) اذكري هذه الاعتراضات وناقشيها في إجمال.

٥- صوري في إيجاز ـ موقف الرسل بعد اعتراض قومهم . وماذا انتهى إليه الموقف بعد انهزام الباطل أمام الحق ؟

٦- هل للتشاؤم والتطير مكان في الدين الحنيف ؟ وما دليل قولك من الكتاب والسنة ؟

٧- حددي ـ في إيجاز ـ واجبات المؤمن في مناهضة الباطل ودفاعه عن إيمانه من خلال درسك لقصة الرجل المؤمن.

٨- ما أقوى دليل ـ ساقه المؤمن ـ على صدق الرسل؟ وما جزاء من استشهد دفاعاً عن دينه؟ وماذا كانت عاطفة المؤمن نحو قومه حياً وميتاً؟ وهل حالت أمنياتـه دون نهايتهم المؤلمة؟

٩- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، واشرحي واحدة منها.

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ (سورة يس) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
يا حسرة	: الحسرة ندم يصيب النفس من حال مؤسفة ، والمراد أن حال مكذبي الرسل تدعو إلى الحسرة.
يستهزئون	: يسخرون ويسيئون الأدب معه.
كم أهلكنا	: كثرة من أبدناهم وأمتناهم .
القرون	: جمع قرن وهو من الناس الأمة ، ومن الزمان مئة سنة أو كل مدة يكون فيها نبي.
لَمَّا جميع	: إلا مجموعون.

محضَرون : مأتي بهم ومحشورون للحساب والجزاء.

وآية لهم : الآية النعمة والمنة، والعلامة والدليل ، والعظة والعبرة.

الأرض الـمـيـتــة : التي لا نبات فيها فهي عارية جرداء من كل مظاهر الحياة.

جنات : بساتين خضراء من شجر النخيل والأعناب وغيرها.

وفـجـــرنـا فيــها : شققنا في الأرض وأخرجنا منها الماء ينبع في العيون.

سبحان : تنزيـه للّه تعالى عما يليق به من النقائص ، وكفر نعمه.

الأزواج : الأصناف والأنواع المختلفة من مخلوقات الله .

نسلـخ من النــهار : السلخ الكشط والنزع، والمعنى نفصل النهار من الليل وننزعه منه.

منازل : جمـع منـزل أي موضـع ومـكان ، والمراد منـازل القمر في سـيره وهـي ثمانية وعشرون.

كالعـرجون القـديم : العرجون القديم عود العذق البالي العتيق ما بين الشماريخ التي يحملها إلى منبته في النخلة .

كلٌّ في فَلَك : الفَلَك مدار الكوكب ، سمي به لاستدارته كفلكة المغزل، والتنوين في (كلٌّ) عوض عن المضاف إليه ، وهو ضمير ما سبق ذكره من الكواكب سواء لفظ به أو يلازمه.

يسبحون : السبح حركة في انبساط وسهولة تكون في الماء كما تكون في الهواء، وضمير الجمع في الفعل دليل على حدوثه من النيِّرين وغيرهما

ذريتهم : ذريـة الرجل أنسالـه، وتطلق على أصول الإنسان من البذور والنطف في الأصلاب وهو المراد.

الفُلْك المشحون : السفن الجارية على الماء، يطلق على الواحدة والجمع، والمشحون الممتلئ بالناس.

مثله ما يركبون : أي مثل السفن في ركوبهم إياه وسبحه، كسفائن البر وسفائن الجو، فكلها مما خلقه الله ويركبه الإنسان.

فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون : لا مغيث يغيثهم من هول ما هم فيه ولا منقذ لهم من الغرق.

ما بين أيديكم وما خلفكم : أي آفات الدنيا ونوازلها المرئية لهم، وأهوال الآخرة وشدائدها الخافية عليهم.

معرضين : الإعراض النفور والانصراف عن آيات اللّه .

لو يشاء اللّه أطعمه : الجملة شرطية ، والفعل في آخرها جواب الشرط في أولها، والمعنى كيف نرزق من لو يشاء اللّه لرزقه ؟!

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع بتسجيل حسرة المكذبين للرسل عليهم السلام، وأن شأنهم في ذلك شأن كثير من العباد الضالين حين تتاح لهم فرص النجاة بإرسال الرسل، ولكنهم يعرضون عن هديهم ساخرين منهم، غير متعظين بمصارع الغابرين، كأنهم عميان لا يرون كثرتهم، ولا يعرفون أنهم بعد هلاكهم لا يرجعون إليهم ، وإن كان هؤلاء جميعهم محشورين للّه، لمحاسبتهم على معارضتهم لرسله وإعراضهم عن هديه وآياته الناطقة بوحدانيته والشاهدة بقدرته.

١- فها هي الأرض يشهدونها اليوم جرداء لا نبات فيها ولا حياة، ومن الغد الباكر تدب فيها الحياة وتزدهر بالنبات والخضرة ، مخرجة الحبوب والأرزاق، ومزدانة بالنخيل والأعناب، وريَّانة

بما يتفجر فيها من عيون المياه الجارية التي تجري معها الأرزاق حيث جرت، فيأكل الناس ويعيشون من حبوب الأرض وثمار الجنات أصنافاً طازجة، وأخرى مما عملوه بأيديهم، فهلا استأهل ذلك كله شكرهم للّه ؟! فسبحان الله ما أعظم قدرته وأجل نعمه التي جعلها أنواعاً وأصنافاً ، وأشكالاً وألواناً، وهكذا تجري قدرتـه في مخلوقاته ما عُلِم منها مما تنبته الأرض ومن أنفس البشر، وما لم يُعْلَم من مخلوقات اللّه ولا يحيط به سواه.

-٢ ومن آية الأرض الميتة تنبثق فيها الحياة إلى آيـة السماء وأجرامها الجارية :

أ) فها هو الليل يُقدِم بظلامه ويغشى ضوء النهار، ثم لا يلبث أن يُنْزَعَ النهار من الليل ويسلخ منه بعد أن كان متلبساً به.

ب) وهـا هـي الشـمس تجـري فـي فلكهـا ولا تتوقـف حتـى يـأذن اللّـه مجريهـا بتوقفهـا عنـد مسـتقرها تحـت العـرش[1] إنـه تقديـر العزيـز القـوي، وتدبيـر العليـم بـكل شـيء ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [النمل : ٨٨].

ج) وفي هذا القمر عظة أخرى إذ يراه الناس في السماء صغيراً دقيقاً ثم يكبر ويكبر حتى يكتمل بدراً ، ثم لا يلبث أن يعود كما كان هلالاً ذابلاً كذبول عذق النخلة حتى يختفى .

ويتجلى تقدير اللّه وقدرتـه في سير هذه الأجرام على نحو دقيق فللشمس مدارها الخاص الذي لا تدرك معه القمر أو تلحقه في مداره ، ولا يسبق الليلُ النهارَ ولكنهما يتعاقبان ، ويزيح كل منهما الآخر ليَحُلَّ محله ، ولكل منها نظام يخصها وهي تسبح في أفلاكها.

---

(١) روي عن أبي ذر قال : سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾ قال : « مستقرها تحت العرش » وعنه أيضاً قال ﷺ : « إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها » وذلك قوله ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾ راجعي فتح الباري كتاب بدء الخلق ٦/ ٢٩٧، صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/ ١٣٨.

قال الخطابي: (استقرار الشمس تحت العرش إخبار عن غيب لا نكذب به ولا نكيفه حيث لا ندركه ولا يحيط علمنا به ، وفي الإخبار عن سجودها تحت العرش ـ يعني في الحديث الثاني لا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها ، وليس في سجودها تحته ما يعوقها عن الدأب في سيرها والتصرف لما سخرت له) راجعي شرح السنة للبغوي ١٥/ ٩٤-٩٦.

-٣ وهذه الآية الأخرى في البحر عبرة وعظة للعباد، حيث حمل اللّه بذورهم في أصلاب آبائهم الأولين حين ملأ بهم السفينة في عهد نوح عليه السلام ، وفوق هذا فقد خلق أمثالاً لهذا الفلك المشحون مما صنعه الناس من سفائن البر ، وسفائن الجو ، والراكبون لهذه السفائن أكثر إداركاً لمعنى الرحمة كما يدركها راكبو السفن البحرية وسط أهوال البحر، ولو شاء اللّه إهلاكهم وإغراقهم آنذاك فلا مغيث يستجيب لصراخهم ، بل ولا خلاص لهم من هذا الهول سوى تدارك رحمة اللّه لهم ، ثم بقية باقية من آجالهم تقتضي تمتعهم بها حتى يحين أجلهم.

أفلا تدل هذه الأفعال الإلهية على كمال قدرته تعالى ورعايته لعباده ؟ وهلا اتعظ العباد بها ؟ إن عباد اللّه المؤمنين يتعظون ، ولكن المطموسين يعرضون عنها ، وإذا ما قيل لهم : حاذروا ما يقع لكم من حوادث الدنْيا وما ينتظركم من مواقف الآخرة الشداد لتكونوا على رجاء من رحمته ـ أصَرّوا على إعراضهم وجحودهم ، كما يعرضون عن آيات اللّه الكونية لا تجدي فيهم آياته القرآنية ، بل يزداد إعراضهم وكبرهم حتى يصير دأبهم الإعراض عن كل آية وجحود كل موعظة.

ويتضح إعراض هؤلاء وجحودهم حين يُدْعَون إلى الإنفاق على الفقراء والمعوزين مما أعطاهم اللّه ورزقهم، حيث يهزأون من هذه الدعوة ، زاعمين أن الإنفاق عليهم يخالف المشيئة الإلهية ، فكيف يطعمون من لو شاء اللّه لأطعمه؟! إن مَن يقول بذلك لفي ضلال كبير وسفاهة بينة[1].

ولكن هؤلاء هم الغارقون في الضلال البعيدون عن إدراك سنن اللّه في أرزاق العباد التي تتفاوت على نحو ما اقتضته الحكمة الإلهية، ولا دلالة لكثرة الرزق لدى بعض العباد على كرامتهم عند اللّه أو رضاه عنهم.

(١) هكذا يبادر أهل الضلال فيرمون أهل الحق بما فيهم ويخلعون عليهم من ضلالهم ، وقد حكى الله مثل هذا عن أمثالهم في قوله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨].

مــن فـوائـد الآيـــات :

١- في الآيات سلوى للرسول ﷺ فيما عرض عليه من استهزاء الكفار بإخوانه من الرسل .

٢- إن عقلاء الناس مَن يتعظون بغيرهم، ومن لم يتعظ منهم استحق الحسرة والندم.

٣- في إحياء اللّه للأرض بعد موتها دليل واقعي على إحياء الموتى وبعثهم ، وفيه دليل على جواز قياس الشيء على نظيره ومشابهه والحكم عليه بحكمه.

٤- أن سائر المخلوقات قائم على قاعدة الزوجية وبخاصة الحية منها ، وقد عُلِم ذلك أخيراً في عالم الجماد والمواد، ابتداء من الذرات حتى كبريات النجوم في المجرات، قال تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ . . . ﴾ [الذاريات : ٤٩].

٥- وهذه الزوجية في قاعدة الخلق مؤذنـة بوحدة الخالق وتفرده بالأحادية :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢].

٦- في الآيات إشارة إلى ما يخلقه اللّه في القابل من الزمان من وسائل النقل، ومن مثل ما عَرف الإنسان نماذجَ لـه ومـا لم يعـرف، قـال تعالـى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .

٧- إيثار الكافر للإعراض عن الحق ـ مع وضوح آياته ودلائله ـ ليظل متخففاً من واجبات الحق وتبعاته.

٨- تلبيس الكفار الدائم على المؤمنين والتشنيع على إيمانهم بأفهام باطلة والاستهزاء بهم وبدينهم.

المناقشة

١- وضحي معانـي الكلمات القرآنيـة التاليـة : « يا حسرة ، القـرون ، وآية لهم ، فجرنا ، الأزواج ، نسلخ ، العرجون ، الفلك ، ذريتهم ، صريخ » .

٢- مـا موضـوع هـذا المقطـع ؟ وما الحكمـة من تسـجيل اللّه الحسـرة علـى العبـاد ؟ ومن المقصودون بذلك؟

٣- وضحي وجه دلالة إحياء الأرض الميتة على :

أ) إحياء الموتى وبعثهم　　　　ب) عناية الله ورعايته لخلقه.

٤- ما القاعدة العامة في خلق اللّه للأشياء؟ هاتي دليلاً على ذلك مما اكتشفه الإنسان حديثاً؟ وما الذي تدل عليه هذه القاعدة نحو الخالق جل وعلا ؟

٥- وضحي ما تعرفينه عن مستقر الشمس الذي تجري له وقدَّرَهُ لها العزيز العليم؟ وهل يتعارض ذلك مع سجودها تحت العرش ؟

٦- قررت الآيات في وضوح عدم سبق الشمس للقمر أو الليل للنهار، ما السر في ذلك؟

٧- وضحي كيف كان حَملُ الذرية في الفُلْكِ آية للعباد ودليلاً على قدرة اللّه ورحمته ؟ وكيف دلت الآيات على ما اخترعه الإنسان بعد عصر التنزيل من المركبات الحديثة ؟

٨- أشارت الآيات إلى كفاية الدلائل على وحدانية اللّه وقدرته ، فما السر وراء كفر الكفار وعدم اتعاظهم ؟

٩- اتهم الكافرون المؤمنين بالضلال، فما المناسبة التي اتهموهم فيها ؟ وأيهما أحق بالضلال؟ وبماذا سَوَّغ الكفار رفضهم الإنفاق على الفقراء ؟ وبماذا يمكن الرد عليهم ؟

١٠- اذكري أربع فوائد عرفتها في هذا المقطع، مع شرح واحدة منها ؟

اليوم الموعود والجزاء العادل

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

(سورة يس) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
الوعد	: إنباء بخير أو بشر يقع مستقبلاً ، فإن أريد خصوص الشر كان وعيداً [1] والمراد يوم القيامة .

(١) راجعي المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٨٦ ، لسان العرب ٦/ ٤٨٧٢ مادة : وعد .

ينظرون : ينتظرون ، جعل تكذيبهم ليوم القيامة كأنهم في انتظار وقوعه .

صيحة واحدة : هي نفخة إسرافيل الأولى التي يموت بها أهل الأرض ، وتعرف بنفخة الصعق والفناء ، والثانية نفخة البعث والمعاد.

يخصِّمُون : يختصمون في أمورهم الدنيوية .

توصية : الوصية التي يقوم بها الشخص آخر عهده بالدنيا وأهلها.

الصُّور : القرن ـ على هيئة البوق ـ الذي ينفخ فيه كما ورد في السنة[1] .

الأجداث : جمع جدث ، وهو القبر.

ينسِلون : ينتفضون ويخرجون سراعاً.

يا ويلينا : الويل الهلاك والثبور، والمراد توجع المنادين وتحسرهم.

مِن مَّرقدِنا : من قبورنا ، حيث ظنوا أنهم كانوا نياماً.

المعنى الإجمالي للآيات :

من إعراض الكفار عن آيات اللّه استهزاؤهم بوعيد اللّه ، فهم يسألون في استنكار عن زمن ذلك اليوم ، مستعجلين وقوعه، وهم ـ مع استعجالهم ليوم القيامة ـ يتهمون المؤمنين بالكذب عليهم في حديثهم عن هذا اليوم، ويجيبهم اللّه بكيفية وقوع هذا الوعد، فما هم بتكذيبهم لهذا اليوم إلا منتظرون وقوعه بهم حيث يبغتهم ويفجؤهم، وهم في جدالهم في أمور معايشهم ، وما هي إلا نفخة واحدة من المَلَك الموَكَّل بذلك ، فإذا هم خامدون على أحوالهم ، فلا يمكنهم وصية أهليهم في أمر من أمورهم، ولا يستطيعون الرجوع إليهم في منازلهم .

ثم ينفخ الملك مرة أخرى ، فإذا هم ينتفضون من القبور ويخرجون سراعاً إلى ربهم ،

(١) أخرج الترمذي عن عبد اللّه بن عمرو، أن أعرابياً سأل النبي ﷺ : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » راجعي : سنن الترمذي ـ كتاب صفة القيامة باب ما جاء في الصور ٤/ ٤١-٤٢ .

ليفـوا حسابهم وهم يَدْعون على أنفسهم بالهلاك والثبور، ويسألون عمَّن أخرجهم وبعثهم من قبورهم، وحينئذ يتذكرون ما استنكروه في الدنيا واستعجلوه، وينطقهم اللّه بحقيقة الأمر، فما الذي هم فيه الآن إلا ما وعدهم به الرحمن في الدنيا على ألسنة الرسل، وقد صدق المرسلون وتحقق وعد اللّه الذي استعجلوه[1]، وهكذا كما أُخِذ هؤلاء من دنياهم بصيحة واحدة، لم يستغرق بعثُهم من قبورهم غير صيحة أخرى[2]، وإذاً بهذا الحشر الحائر تنتظم صفوفه، ويتهيأ للعرض والحساب، حيث القضاء العادل والفصل الحق، فلا تبخس نفس حقها، ولا تأخذ أخرى إلا جزاء ما صنعت ، ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧].

مـــن فـــوائـــد الآيـــات :

١- قيام الأموات وبعثهم: أهم ما ينكره الكفار بعد شركهم باللّه وتكذيبهم للرسل (عليهم السلام).

٢- يوم القيامة ـ مثل أجل الإنسان ـ لا يتقدم ولا يتأخر عن زمنه المحدود له في علم اللّه .

٣- صيحة الملك في آخر الزمان هي آخر العلامات لقيام الساعة وفناء الدنيا.

٤- تيقن الكفار في الآخرة ما أعرضوا عنه وأنكروه في الدنيا ، حيث لا ينفعهم يقينهم إذا صاروا في دار الجزاء.

٥- في يوم القيامة يكون العدل المطلق، والفصل الحق الذي لا يضيع معه جزاء العاملين ولا يُجازى أحدٌ بغير ما عمل .

---

(١) يقولها بعضهم لبعض ، ويجوز أن تكون من جواب المؤمنين أو الملائكة لهم، أو من قول اللّه سبحانه وتعالى، راجعي فتح القدير ٤/ ٣٧٤.

(٢) اتفق عامة العلماء على أن الصيحات من الملك اثنتان : أولاهما في آخر الدنيا للإفناء والإماتة ، وثانيتهما في أول الآخرة للبعث والإعادة ولا ثالث لهما، ويرى ابن كثير أنهما نفختان في الدنيا : الأولى نفخة الفـزع والناس في أسـواقهم يختصمون ، والثانية نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ، ثم نفخة البعث والنشـور للقيام من الأجداث والقبور ، أما صاحب الظلال فيرى أنهما صيحتان في الآخرة ـ بعد صيحة الإماتة في الدنيا ـ أولاهما صيحة البعث من القـبور وثانيتهما صيحة السـوق إلى المحـشر، وقد جـاء الرد على مستنكـري يوم الوعد بهذه الثلاثة ، راجعي : تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٧٣ ، في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٢.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « الوعد ، الصيحة ، يخصِّمون ، وينسلون ، ويلنا ».

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وما أظهر أصول العقيدة التي أنكرها الكفار ؟ وكيف رد القرآن الكريم إنكارهم ؟

٣- « دلت الآيات الكريمة على مفاجأة الساعة للكافرين » ما مظاهر هذه المفاجأة ؟

٤- « دلت آيات القرآن الكريم على أن يوم القيامة هو يوم الفصل الحق والقضاء العدل » اشرحي هذا القول واذكري ما تحفظين من الآيات دليلاً عليه.

٥- اذكري فوائد عرفتها من هذا المقطع واشرحي واحدة منها.

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

(سورة يس) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
شُغُل	: كل ما يشغل الإنسان ، والمراد به هنا : نعيم أهل الجنة.
فاكهون	: الفاكه المتنعم والمتلذذ بما ينعم به ، ومنه الفاكهة.
الأرائك	: واحدة أريكة ، وهي السرر المزينة الفاخرة.
متَّكِئُون	: المتَّكِىء من قعد على وِطاء متمكِّناً فيه ، والمراد بهم المتمكنون على سررهم [1] .
ما يدَّعون	: ما يتمنون ويطلبون .
امتازوا	: انفردوا وتميزوا ، وانعزلوا عن المؤمنين.
جِبِلاً كثيراً	: بكسر أوله وثانيه الجماعة العظيمة تشبيهاً لها بعظمة الجبل ، وبضمها جمع جِبِلة ، أي ثابتين على ما جُبِلُوا عليه [2] .
اصلوها	: من الصَّلي والاصطلاء بالنار ، والمراد ادخلوها وقاسوا شدتها.
نختم على أفواههم	: نغلقها بالختم كما تُغْلَق الأبواب ، بسبب كذبهم وإنكارهم كما في قولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] .
طَمَسنا	: غطينا عيونهم حتى تعود ممسوحة لا يظهر لها شق ولا جفن .
استبقوا الصراط	: ابتدروا الطريق وتسابقوا إليه، ليجوزوه ويمضوا عليه.
أنّى يبصرون	: كيف يبصرون الطريق ولا أبصار لهم ؟

(١) راجعي لسان العرب ٦/ ٤٩٠٤ مادة وكأ .

(٢) راجعي : المفردات ـ مادة جبل ص ٨٧ .

مسخناهم : بدّلنا خِلقَـتَهم وقلبناهم حجارة أو جماداً .

مكانتهم : المكانة والمكان واحد ، كالمقامة والمقام.

مضينا : ذهاباً وتقدما إلى الأمام.

نعمّرْه : نطِل عمرَه.

ننكِّسه : من تنكيس الشيء وتغيير هيئته ، والمراد نرده إلى أرذل العمر ، ونغير خلقه من قوة وشباب إلى ضعف وهرم[1].

المعنى الإجمالي للآيات :

ويطوي سياق الآيات حساب المؤمنين ، ليعرض ما صاروا إليه من نعيم مقيم، نعم إن المؤمنين في جناتهم مشغولون اليوم بسرورهم وما يتمتعون به مع مشاركة أزواجهم لهم ، فهم وإياهم في ظلال الجنة يسمَرون مع أهليهم وهم متمكنون في سررهم الوثيرة، ولهم مع ذلك الفواكه الكثيرة، بل لهم ما يشاؤون فيها ويتمنون حالاً منَجَّزاً ، ثم لهم فوق كله التحية والكريم ، يتلقونه مباشرة من ربهم الكريم، ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾.

أما أصحاب النار : فَـتُـعرض سيئاتهم ، وينادون في تحقير أن ابتعدوا عن المؤمنين ، أيها المجرمون ؛ إذ ليس شأنكم من شأنهم فلقد حفظوا عهدي إليهم ألا يعـبدوا غيري ، أما أنتم ـ يا بني آدم ـ فقد خنتم العهد وعبدتم الشيطان الذي أخرج أبويكم من الجنة، وعداوته لكم ظاهرة فلا ذكرتم هذا العهد ، وعرفتم أن عبادتي وحدي هي الطريق المستقيمة والموصلة إلى رضاي؟ ولكن هيهات أن تفعلوا وتحذروا عدوكم، الذي أغوى منكم أجيالاً وأجيالاً ، فلم تتعظوا من ذلك ولم تعقلوا بطلان عبادتكم لعدوكم.

(١) راجعي لسان العرب ٦/ ٤٥٤٠ ـ مادة نكس.

وفي نهاية هذا الموقف المهين يُعلَنون بجزائهم، ويشار إلى جهنم وقد دَنَوا منها : هذه هي التي وعدكم بها الرسل فكذبتموهم وكذبتم بها ، فاصلوها اليوم وقاسَوا من أهوالها بسبب كفركم باللّه وعبادتكم للشيطان ، ثم يلفت السياق إلى مشهدهم وهم يخاصمون في خطاياهم وآثامهم ، فيَخْتِم على أفواههم ، ويقيم عليهم شهوداً من أنفسهم ـ كما طلبوا [1] ـ فتتكلم الأيدي، وتشهد الجوارح والأرجل بما فعلوه وأنكروه.

وينتهي حساب هؤلاء وهم على هذه الحال العجيبة من انعقاد الألسنة وتكلم الجوارح، ولو شاء اللّه لأبدلهم بها نهايات أخرى أكثر سخرية وأشد أستهزاء، فلو شاء اللّه لمسح أعينهم فصاروا عمياً مطموسين ، ثم هم مع هذا العمى يتزاحمون على عبور الصراط، ويخبطون خبط العميان حين يتسابقون، فكيف يبصرون طريقهم على هذا الحال ؟ ولو شاء اللّه لغيَّر خلقتهم فبدلهم في مكانهم جماداً لا حركة لهم ولا شعور وأحوالهم كالأصنام لا تمضي ولا تعود.

ولعل هؤلاء يحدثون أنفسهم ـ حينئذ ـ أن لو امتدت أعمارهم في الدنيا لتجنبوا هذه الخطايا والآثام، ولكن هذا منهم سفه في الرأي ، فلو طال عهدهم بالدنيا لصاروا إلى شر يَحْمَدون معه التعجيل بهم ، حيث تتبدل قوتهم ضعفاً وشبابهم هرماً وشيباً، وهذا وذاك نكسة في الخلق، ويا ويح من أدركته السنون وهو عجوز ينحدر إلى أرذل العمر فلا تُقَالُ له عثرةٌ إلا من عطف ورحمة !.

من فوائد الآيات :

١- أهل الجنة يرفلون في نعيم مقيم وكفاية بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) روي عن أنس] في حديث طويل ، ضحك فيه النبي ﷺ من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة ، يقول له : « لا أجيز عليّ إلا شاهداً مني من نفسي ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا .... فيختم على فيه فيقال لأركانه : انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعداً لكم وسحقاً فعنكن كنت أناضل ». راجعي صحيح مسلم ـ كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٨٠ .

٢- عهد اللّه للبشرية بعبادته وعدم عبادة الشيطان : عهد موغل في القدم إلى ما قبل إرسال الرسل قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا . . . ﴾ [الأعراف : ١٧٢].

٣- أعدى أعداء البشرية هو الشيطان ، يقعد لهم كل مرصد ، ولن ينجو من غوايته إلا عباد الله المخلصون.

٤- جوارح الكفار تنطق يوم القيامة بأعمالهم في الدنيا، حيث تسقط أكاذيبهم ويؤاخذون بشهادة أبعاضهم وجوارحهم.

٥- طول العمر مع فساد العقيدة والعلم وبالٌ على صاحبه، وردة تضاعف من شقاء المُعَمَّر وبؤسه.

المناقشة

١- بيني ـ في إيجاز ـ معاني الكلمات القرآنية التالية : « شغل ، الأرائك ، امتازوا ، جبلًا ، لطمسنا، لمسخناهم ، ننكسه » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما مظاهر نعيم أهل الجنة، وتكريمهم ؟ وما مظاهر عذاب أهل النار وإهانتهم؟

٣- ما الحكمة في ختم اللّه على أفواه الكفار عند حسابهم واستنطاق جوارحهم ؟ وماذا تحفظين من النصوص في ذلك؟

٤- عرض اللّه حالين لو شاء لاستبدل أيا منها بحال الكفار في الآخرة ، فصِّلي أحد هذين الحالين مبينة ما فيه من قبح واستهزاء بالكافرين .

٥- لماذا كان امتداد العمر بالكافرين شراً لهم من التعجيل بموتهم ؟ وماذا تحفظين من الآيات في ذلك؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع واشرحي واحدة منها .

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

﴿ يَقْدِرَ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(سورة يس) .

أسباب النـــــــــــزول :

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . . . ﴾ إلى آخر السورة .

ذكر المفسرون أن أُبيّ بن خلف ـ لعنه اللّه ـ جاء إلى رسول اللّه ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يُفتّه ويذروه في الهواء ، وهو يقول : يا محمد ، أتزعم أن اللّه يبعث هذا ؟ قال ﷺ : « نعم يميتك، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار » ونزلت هذه الآيات من آخر « يس »[1].

ويشهد لما قاله المفسرون، ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء فَفَتَّه بيده ثم قال لرسول اللّه ﷺ : أيُحْيِي هذا اللّه بعد ما رَمَّ ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : « نعم يميتك اللّه، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم » وعنه أيضاً أن الفاعل والسائل أبو جهل لعنه اللّه[2].

والأولى أن يكون فِعلُ هؤلاء وسؤالهم مع وقوعه مما تنطبق عليه الآيات وما هو من معناها ، حيث يراد بالإنسان في الآية الأولى، كُلُّ منكر للبعث أو شاك فيه، أعم من أن يكون واحداً من هؤلاء المذكورين ، طبقاً لما عرفناه قبل من قاعدة (العبرة بعموم لفظ الآية لا خصوص سببها) .

---

(١) راجعي : أسباب النزول ص ٣٨٥، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٨١ .

(٢) وهذا الذي روي عن المفسرين وابن عباس صحيح، كما قال الحاكم راجعي : تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٨١، فتح القدير ٤/ ٣٨٤ .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
الشِّعر	: كلام موزون في نظم وقافية ، مميز بخيال وتصوير ، ونابع عن انفعال وعاطفة ، وقد نبغ فيه كثير من العرب .
من كان حياً	: المقصود به من كان ذا قلب سليم يقبل الحق ويأبى الباطل.
عملت أيدينا	: أبدعنا وخلقنا، وإسناد العمل إلى الأيدي لتأكيد اختصاص اللّه بالإبداع وتفرده بالخلق.
أنعاماً	: الأنعام جمع نَعم ، وهي الإبل والبقر والغنم، وسائر ما يرعى مما يشبهها.
مالكون	: يعنى صارت ملكاً لهم ومعدودة من جملة أموالهم.
ذللناها لهم	: سخرناها لهم فلا تمتنع مما يريدون بها.
وهم لهم جند	: الجند الأنصار والأعوان ، وضمير الرفع المبتدأ للمشركين.
أو لم ير الإنسان	: الاستفهام للتعجب والإنكار ، والألف واللام في الإنسان للجنس .
نطفة	: هي اليسير من الماء الذي يكون منه الولد.
خصيم	: المخاصِم الشديد الخصومة.
من يحيي	: الاستفهام من المخاصِم للإنكار، حيث قاس قدرة اللّه المطلقة على قدرته المحدودة.
رميم	: من رمَّ العظم إذا بَلَى وتَفَتَّت ، فَعيل بمعنى مفعول.
أنشأها	: ابتدأها وخلقها من غير شيء.

بلى : حرف جواب مثل نعم ، يجاب به الاستفهام المنفي، أو الذي بمعناه.

أمره : شأنه في الخلق والإيجاد والتكوين.

ملكوت : الملك التام لكل شيء في الوجود والسيطرة المطلقة عليه.

المعنى الإجمالي للآيات :

يأتي ختام السورة بعرض جديد لموضوعاتها ، تُـبْرَز فيه مظاهرُ القدرة الإلهية وآثارُها المشاهَدة للخلق، ويبدأ بموضوع الوحي والرسالة ، حيث ينفي اللّه شاعرية محمد ﷺ فما جَبَلَه اللّه على ذلك ولا يَسَّـره له ، بل ما ينبغي له ولا يصح ـ وهو نبي يتلقى ما يَتَعَبَّد به الخلق ـ أن يكون شاعراً، وحيث تعتمد الشاعرية على انفعال البشر والتعبير عن ذلك في خيال قد يبعد عن الحق أما النبوة فتقوم على الحق المتصل باللّه، فهي في صميمها ـ هداية إلهية تتنزل من السماء.

ولوضوح هذه الحقيقة جاء تقرير القرآن الكريم لحقيقته وغايته ، نافياً لما قيل : إنه نمط من القول غير معهود في العربية ، ومبيناً أنه ذكر لله تعالى وكتاب مبين يتلوه ويتعبد به المؤمنون، وغايته مجملة في أمرين: أولهما : إنذار المهديين بتعاليمه ، أما الضالون عن هديه فغايته معهم تسجيل أحقيتهم بعذاب اللّه، ليعلم الناس جميعاً أنهم إزاء هذا القرآن فريقان : فريق يستجيب فهو حيّ ، وآخر لا يستجيب فهو ميت وجب عليه عذاب اللّه ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٣٦] .

ويأتي السياق إلى موضوع الألوهية والتوحيد وقدرة اللّه ، فيستدل له من واقع ما يرى الناس ويشاهدون ، فيستنكر عليهم عدم تدبرهم خلق اللّه للأنعام إذ ملكها لهم جعلها ذلولا طائعة، ومن وجوه هذا التذليل ركوبهم إياها وأكلهم وشربهم منها ، ولهم فوق هذا منافع عديدة لا تحصى، فهلا شكروا اللّه الذي منَّ عليهم وحده بهذه النعم ؟!

ولكن الناس منهم من يكفر فلا يشكر ، ويتخذ غيرَ اللّه آلهة يعبدها ويرجو عندها النصرة والعون وما كان لهذه الآلهة أن تنصر عابديها وهي من الضعف والهوان ، بحيث لا تحمي نفسها بل كيف يتأتى لها ذلك وهي التي في حماية عابديها ، وهم جنودها الذين يدفعون عنها [1]؟!

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] ، إن أمثال هؤلاء لا فائدة ترجى منهم ، فلا تحزن ـ يا محمد ـ لعدم إيمانهم ومزاعمهم فيك وفي القرآن فأمرُهم مكشوف لنا في سرهم وعلنهم، وحسابهم علينا فلن يفوتونا أبداً.

ثم يأتي موضوع البعث والنشور ، وإثباته بالأدلة القاطعة التي يجيئ في مقدمتها واقع الإنسان الذي يشهد بأنه لم يك شيئاً مذكوراً ، فخلقه اللّه من نطفة صغيرة من ماء مهين، ليصير بعد ذلك إنساناً يخاصم ربه ويجادله في إمكان بعثه بعد موته ، وينسى خلقه من الماء المهين، ثم يعجب ويسوق المثل البعيد ، كيف يحيا في خلق جديد وقد صار عظيماً بالياً ورفاتاً مفتوتا ؟! ويأتي الرد على هذا العجب والاستنكار سهلاً ملخِّصاً حقيقة الإعادة ، التي ما تحمل جدلاً ولا تستأهل عجباً ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فهو العليم بخلقه أولاً وآخراً ، ومن قدر على النشأة الأولى قدر على الإعادة ثانياً لا محالة في ذلك.

ويأتي الدليل الثاني في واقع الشجر الأخضر الممتلئ بالنضرة والماء، والمحتوى في الوقت نفسه على عناصر النار والاحتراق، فإذا بعضه مولد للنار عند احتكاكه[2]، وإذا كله وقود للنار بعد يبسه ولدونته، فهل إحياء اللّه للموتى أكثر عجباً من إخراج النار المحرقة من العود النديّ الرطب؟!

أما الدليل الأخير فيأتي في شكل استفهام ينكر على المشركين رفضهم عقيدة البعث، ويعرض عليهم الموازنة بين خلق السماوات والأرض مع عظمهما وخلق الإنسان على صغره وهوانه، وأيهما أكثر إمكاناً في القدرة وأقرب إلى التحقق في الواقع ؟!

---

(١) ومن أنواع الشرك والكفر ما يقع من بعض الناس حين يخضعون لقوى في الأرض يبتغون عندها ما لا يبتغى إلا من اللّه .

(٢) كما هو حال شجرتي المرخ والعفار اللتين إذا احتك عودهما انقدحت النار منهما وهما أخضران ، فتح القدير ٤/ ٣٨٣ .

وما دام خلق السماوات والأرض اكبر من خلق الناس فالإجابة واضحة: بلى ، هو قادر على خلق مثلهم ، فاللّه الكثير الخلق والعليم بكل شيء لا يعجزه خلق دون خلق ، فمتى أراد شيئاً أمر بقوله : « كن » فيكون من غير توقف على شيء آخر أصلاً ، تنزه اللّه تعالى عن العجز والقصور؛ إذ بيده ملكوت كل شيء وله القدرة المطلقة على جميع الخلق يقبضهم إليه، ثم يعيدهم ويرجعهم في الآخرة ، فإليه وحده مرجع الخلق ومصيرهم.

من فوائد الآيات :

١- إثبات صفة اليد لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته .

٢- لا بأس من إعادة عرض القضايا والموضوعات وتلخيصها ، تذكيراً للسامع والقارئ وتأكيداً للمعنى في نفسيهما.

٣- في نفي الشاعرية عن الرسول ﷺ وامتناع قرضه للشعر : أبلغ رد على من وصفوا القرآن الكريم بالشعر.

٤- في مقابلة الحياة بالكفر : دليل على أن المؤمن هو الجدير بالحياة ، وأن الكافر لا حياة له بل هو في عداد الموتى حقيقة .

٥- أن دلائل وحدانية اللّه وقدرته في القرآن قريبة ويسيرة ؛ لأنها من واقع الإنسان ومظاهر الخلق من حوله.

٦- من أجلِّ نعم اللّه على الناس المستوجبة شكرهم له خلق الأنعام وتذليلها، لينتفعوا بها في حياتهم.

٧- فساد عقول المشركين في عبادتهم آلهة من صنعهم ، وطغاة يبتغون منهم ما لا يبتغى إلا من اللّه ، ويتعلقون بهم أكثر مما يتعلقون باللّه.

٨- جواز ضرب المثل لتوضيح حقيقة خَفِيَتْ ، أو استدلالٍ بوقوع شيء على وقوع شبيهه ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧].

-٩ اختزان الشجر الأخضر لطاقات حرارية تُوَلَّد بعد يبوسه ، بل مع خضرة بعضه، وسبحان من ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠].

-١٠ من تعلقت قدرته بخلق عظائم الأمور وأخطرها ، لا يشك عاقل في تعلقها بخلق ما دونها [١].

المناقشة

-١ وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « الشِّعر ، عملت أيدينا ، ذَلَّلنا ، نطفة ، خصيم رميم ، ملكوت ».

-٢ ما الموضوعات البارزة في سورة « يس » ؟ وما الحكمة في إعادة عرضها بآخر السورة؟ اذكري أمثلة على ذلك .

-٣ ما الفروق المهمة بين الشاعرية والنبوة ؟ ولم لا ينبغي لنبي أن يكون شاعراً ؟ وما المقصود بنفي الشاعرية عن محمد ﷺ ؟

-٤ ما المعنى في حصر أوصاف القرآن في أنه « ذكر وقرآن » ؟ وما الغاية من نزوله ؟ وما فائدة مقابلة الحياة بالكفر ؟

-٥ ما طبيعة أدلة القرآن الكريم على وحدانية اللّه وقدرته ؟ وهل يجوز في محال العقيدة :

أ - ضرب الأمثال ؟

ب - قياس الشبيه على الشبيه ؟ استدلي على ما تقولين بما تحفظين من الآيات القرآنية.

---

(١) وإن كان الجليل الخطير والهين اليسير من الأمور سواء في قدرة الله ، إنما يقرب الله الأمور للبشر ليدركوها بعقولهم قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم : ٢٧) .

٦- ما وجوه تسخير اللّه الأنعام للإنسان ؟ وما وجه دلالة ذلك على قدرة اللّه ووحدانيته ؟ وما واجب هذا التسخير ؟

٧- يكشف انحراف المشركين عن توحيد اللّه ضعف آلهتهم وعجزهم عن النصرة والعون وحماية النفس ، اشرحي ـ في إيجاز ـ كيف قرر القرآن هذه الحقيقة ؟

٨- استدَلَّ القرآن على بعث الإنسان بدليلين من ذاته ومن خارجه، وضحي هذين الدليلين مستشهدة بما تحفظين من القران الكريم .

٩- « حاكم القرآن الناس إلى عقولهم في قضية البعث » ما وسيلة القرآن في ذلك؟ وهل يقترن تعلق قدرة الخالق بشيء دون آخر من الخلق ؟

١٠- اذكري أربع فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني ، وفَصِّلي القول في واحدة منها ؟

بين يـدي السـورة

(أ) اسم السورة :

اسمها (الصافات) أخذاً من أبرز لفظ في السورة أقسم الله به في أولها، ولا يُعْرَف لها اسم آخر غيره، وقد وردت التسمية على لسان بعض الصحابة [١]. فعن ابن عمر] قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات [٢].

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة (الصافات) بعد سورة الأنعام، وتأتي في المرتبة السادسة والخمسين من حيث نزول سور القرآن الكريم، على حين يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة السابعة والثلاثين.

وقد نقل القرطبي إجماع العلماء على مكية السورة، ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة [٣]. وعدد آياتها ثنتان وثمانون ومئة آية [٤].

(ج) أهم موضوعات السورة :

تهدف هذه السورة ـ كسائر السور الملكية ـ إلى بناء العقيدة الصحيحة في النفوس وتخليصها من الشرك ، وتركز على صورة منه بعينها كانت سائدة في بيئة العرب الأولى .

---

(١) جاءت تسمية هذه السورة ـ وغيرها من السور التي لم يسمها رسول الله ﷺ ـ وفق ما جرت عليه عادة العرب في تسمية الشيء أخذاً من مستَغْرَب يكون فيه أو صفة تخصه، ويكون معها أسبق لإدراك الرائي والسامع ؛ البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه النسائي والبيهقي وذكره ابن كثير والشوكاني انظري تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٨٥.

(٣) راجعي : الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٦١ ، فتح القدير ٤/ ٣٨٥، روح المعاني ٢٢/ ٦٤.

(٤) فيما عدّه المدنيون والكوفيون، وعددها عند البصريين وأبي جعفر من الكوفيين إحدى وثمانون ومئة آية ، راجعي التبصرة، ص ٤٨٣، غيث النفع ص ٣٣٤.

١- فهي تعرض في موضوعها الرئيس لهذه الصورة من الشرك ، وتقرر خرافيتـها فيما زعمته من وجود قرابة بين الله والجن ، وأن الملائكـة ثمار تلك القرابـة والعلاقـة ، وتتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى.

٢- فتعرض قضية التوحيد والاستدلال لها بمشاهد كونية.

٣- وتعرض لقضية البعث مع مشهد مُطَـوَّل من الآخرة ، يعـرض فيه نعيـم أهل الجنة ، وشقاوة أهل النار.

٤- وتعرض لقضية الوحي والرسالة من خلال اتهام المشركين للرسول ﷺ بالشعر والجنون ورد الله عليهم.

٥- ثم تعرض السـورة لأطراف منـوَّعـة من قصص الأنبياء مع مواقف أقوامهم من دعـواتهم وعواقبهم.

٦- وتبرز بين هذه القصص قصة أبي الأنبياء إبراهيم مع ولده الذبيح إسماعيل عليهما السلام في سياق لم يُعْرَض في غير هذه السورة من القرآن الكريم .

وحدانية الله وحفظه تعالى للملأ الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠ ﴾ (سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
والصافات	: الواو للقسم ، والصافات جماعات الملائكة المصطفات كصفوف المصلين انتظاراً لأمر الله [١] ، وجواب القسم قوله تعالى بعد : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴾ .

(١) هذا هو الأولى من معانيها ، وهو الملائم لسياق السورة وموضوعها ، البارز فيها ، وكذا يراد بالزاجرات والتاليات بعد .

فالزاجرات : الزجر الدفع بقوة ، والمراد جماعات الملائكة التي تزجر العباد عن المعاصي، وتزجر الشياطين ، وتزجر السحب وتسوقها.

فالتاليات : التلاوة القراءة في تتابع ، والمراد الملائكة التي تتلو القرآن ، وتجيء بالكتب من عند الله .

رب السماوات : رب كل شيء القائم على أمره ، ولا يعرف منه عند الإطلاق غير الله تعالى، فإذا أريد به غيره لزمته الإضافة إلى الشيء، كرب البيت ، ورب السيف والقلم.

المشارق : مواضع شروق الشمس المتعددة بتعدد أيام السنة ، وتفاوتها طولاً وقصراً فهو رب المشارق ورب المغارب [1].

زينا : من التزيين وهو إظهار الحسن في الشيء.

السماء الدنيا : السماء كل ما علاك فأظلك ، والمراد ما يشاهد حاويا النجوم والكواكب، والدنيا الغريبة من الأرض مؤنث الأدنى.

الكواكب : الأجرام التي تظهر في السماء الدنيا مع مغيب الشمس لامعة براقة.

شيطان مارد : المارد العاتي المتمَرِّد على طاعة المتعري عن الخير .

الملأ الأعلى : الملأ الجماعة المتجمعة على الشيء والتي تملأ العين والقلب ، والمراد أهل السماء من الملائكة .

يُقْذَفون من كل جانب : يُرْجَمون من جميع جوانبهم ومن كل الاتجاهات .

دحوراً : مطرودين مُبْعَدين من الدحر وهو الطرد والإبعاد .

---

(١) اكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليها ، وقد صرح بذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] ، ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾ [الرحمن : ١٧] ، ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ [المزمل : ٩] .

واصب : دائم لا ينقطع والمراد به عذاب الآخرة قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] .

إلا من خطف : الخطف اختلاس الشيء بسرعة، والمراد هنا الخطفة : الكلمة يختلسها الشيطان من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، والاستثناء إما منقطع عما قبله لبيان حال المختلسة منهم أو متصل بقوله ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ .

شهاب ثاقب : الشهاب الشعلة من النار المتقدة ، ووصفه بالثاقب لشدة إضاءته أو لثقبه ما ينزل عليه .

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ السورة بإبطال عقيدة عبادة الملائكة ، إذ يقسم الله بطوائف وأصناف من الملائكة على تأكيد وحدانيته تعالى فهو وحده المستحق للعبادة والتفرد بها.

ويذكر الله هنا طواف الملائكة بصفاتها التي تنأى بها عن مقام الألوهية، وتسلكها في مقام العبودية لله وحده فمنها التي تصطف صفوفاً منتظمة في عبادتها [1] ومنها التي تزجر من يستحق الزجر من العباد والخلق ومنها التي تدأب في ذكر الله وتتلو آياته ووحيه ، وزيادة في تأكيد وحدانية الله المقسَم عليها يعرف الله عباده بنفسه ، فهو مالك السماوات والأرض وما بينهما من الخلائق ، وهو المدبر لشؤون ذلك الملكوت الهائل ، وهو رب المشارق لكل النجوم والكواكب المتصرف فيها بحكمته وتقديره .

---

(١) روي عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : « ألا تُصفُّون كما تُصفُ الملائكة عند ربها؟ فقلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف . . . » ، وروى حذيفة عنه ﷺ قال : « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً » صحيح مسلم كتابا الصلاة والمساجد ١/ ٣٢٢ ، ٣٧١.

ويؤكد سياق الآيات أن خلق اللّه لهذه الكواكب ذات المشارق والمغارب ـ فوق دلالته على وحدانيته تعالى وقدرته ـ فقد جعلها زينة للسماء القريبة من أهل الأرض[1] وحافظة للسماء من الشياطين المتمردين على طاعة الله ، ومانعة لهم من التسمع إلى ما يدور في الملأ الأعلى، وكلما حاولت الشياطين ذلك تلقفتهم رجوم الكواكب كالرماح من كل الاتجاهات تدحرهم دحراً ثم لهم فوق هذا الرجم في الدنيا عذاب دائم في الآخرة ، وقد يتمكن شيطان في اختلاس خبر مما تتحدث به الملائكة فسرعان ما يلحقه الشهاب الثاقب فلا يدعه حتى يحرقه حرقاً.

وهكذا يطلعنا الله على مكانة هذه الشياطين ومصائر مَرَدة الجن، الذين يُزْعَمُ لهم أن بينهم وبين الله نسبا، ولو كان شيء من هذا صحيحاً ما كانت هذه مكانتهم ولا هذا مصيرهم [2] .

من فوائد الآيات :

١- إقسام الله تعالى بشيء من مخلوقاته، إظهاراً لعظمة هذا الشيء، وبياناً لجميل صنع الله به.

٢- وحدة الله في ألوهيته ووحدته في ربوبيته ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾.

٣- خلوص الملائكة وتجردها لمقام العبودية لله، فلا هم بنات الله ، ولا هم شركاء له في الألوهية.

٤- تعدد مشارق ومغارب الشمس وسائر النجوم والكواكب.

---

(١) تلألؤ الكواكب النيرة في ذاتها زينة وانتشارها في مواضعها في السماء زينة أخرى ، ثم هي في تناسب حركاتها وانضباطها زينة ثالثة للدارسين والمفكرين في حسابها ، ونظرة واحدة إلى السماء كافية في الدلالة على قصد الجمال والزينة في تكوين الخلق حيث أجمل مشهد تقع عليه العين ولا تمل النظر إليه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الحجر : ١٦] .

(٢) حفظ الكواكب للسماء من تسمع الشياطين ورجمهم بالشهب، واختلاس بعضهم شيئاً من خبر ما يجري في العالم العلوي ، وملاحقتهم بالشهب المحرقة..، أكثر ذلك من الغيب الذي تعجز الطبيعة البشرية عن تصور حقيقته ويكفينا التصديق بما أخبر الله عنه في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠-٢١٢] ، ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٨-٩].

٥- إتقان الصنع في تسيير ملكوت السماوات والأرض، والتقدير الدقيق في توالي المشارق والمغارب ، وهو أوضح دليل على وحدانية الله وكمال قدرته :

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨].

٦- للكواكب والنجوم وظائف عديدة أعلمنا الله بعضها كزينتها للسماء ورجمها للشياطين ، والاهتداء بها في الظلام.

٧- الجَمَالُ في صنع الله تعالى والزينة في خلقه من الأمور التي ترشد الشريعة إليها.

٨- إن عوالم الغيب لا يسعنا معها إلا التسليم والتصديق بالأخبار الصحيحة عنها.

٩- إن محاولات استراق الشياطين للسمع ما زالت قائمة ، وإن أصبحت فاشلة تجلب لأصحابها الطرد والعذاب.

١٠- قصور الشياطين ومردة الجن عن إدراك شيء مما يجري في الملأ الأعلى ؛ إذ ليست لهم بالله قرابة ولا بينهم وبينه نسب.

المناقشة

١- اذكري ما تعرفينه عن سورة الصافات من حيث :

(أ) اسمها ، (ب) ترتيبها بين السور القرآنية ، (ج) عدد آياتها ،

(د) أبرز موضوعاتها ، (هـ) الموضوع الأساسي فيها .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وما المعنى المقصود من الأصناف الواردة في معرض القسم؟

٣- بيني معاني الكلمات القرآنية التالية : « رب ، المشارق ، الكواكب ، مارد ، الملأ ، دحوراً، واصب ، شهاب» .

٤- ما الحكمة من قسم الله تعالى بـ (الصافات ، الزاجرات ، التاليات) ؟ وما المراد بها ؟ وأين جواب القسم ؟

٥- (عرض هذا المقطع لوحدانية الله وأبطلت آياته صورة من الشرك كانت سائدة) وضحي هذه العبارة .

٦- قال تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ وضحي معنى هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ [المزمل : ٩] ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾[الرحمن : ١٧].

٧- ماذا ذكرت الآيات من وظائف الكواكب؟ وما الفائدة من هذه الوظائف ؟ وما وجوه الزينة في الكواكب ؟

٨- ما حدود اتصال الشياطين بالملأ الأعلى ؟ وما معنى الاستثناء في الآيات ؟ وماذا تحفظين من الآيات في ذلك ؟ .

٩- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني ، مع تفصيل واحدة منها.

إثبات البعث وجدال المشركين حوله

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
فا ستفتهم	: الاستفتاء طلب الفتيا والمراد : اسأل الكفار والمشركين المنكرين للعبث.
أَهُم أشدُّ خلقًا	: الاستفهام للتقرير والاستنكار[1]، وأشد خلقاً: أعظم وأقوى إيجاداً وأحكم صنعة.

(١) تقرر جواب السؤال من مفهومه واستنكار موقفهم من البعث ورفض التصديق به.

أم مّن خَلَقْنا : المراد بالموصول المبهم (من) ما تقدم من خلق الملائكة والسماوات والأرض والكواكب والشياطين.

طين لازب : الطين اللزج الشديد التماسك .

بل عجبتَ : بل للإضراب والانتقال من أسلوب إلى آخر، والخطاب في «عجبت» لمحمد ﷺ.

و يسخرو ن : الواو للحال ، والمعنى عجبتَ وهم يستهزئون من تعجبك وما تقوله من إثبات البعث والمعاد.

يستسخرون : يبالغون في السخرية متضاحكين مستهزئين

أئذا متنا / أإنا لمبعوثون : الاستفهام فيهما للإنكار والتعجب ، تقديره أُنُبْعَث إذا متنا ! والمعنى ننكر بعثنا بعد موتنا .

د ا خر و ن : صاغرون أذلاء أمام قدرة الله .

ينظر و ن : يعاينون ما كانوا يوعدون من قيام الساعة والحساب والجزاء .

يا ويلنا : الويل هو الهلاك والثبور ، والمراد توجع المنادين وتحسرهم .

يوم الدين : يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال ، قالوه تعليلاً منهم لدعائهم بالويل على أنفسهم .

يوم الفصل : يوم الحكم والقضاء الذي يفرق بين المحسن والمسيء ، ويقضي فيه بين أهل الجنة والنار .

المعنى الإجمالي للآيات :

يتوجه هذا المقطع إلى مناقشة المشركين والكفار في عقيدة بعث الأموات ودعوتهم إلى التفكير في مخلوقات الله العظيمة كالملائكة والسماوات والأرض وما بينهما ، وما إذا كان خلقهم أحكم

صنعاً وأصعب من خلق هذه المخلوقات [1] ؟ وجواب العقل هنا واضح لا يحتمل مكابرة أو مداورة ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ . . . ﴾ [غافر : ٥٧] ، وكيف يكون الأمر على خلاف ما قرر الوحي والعقل وقد خلقهم الله -منذ أبيهم آدم - من الطين اللزج ؟ فهل إعادة نشأتهم من مثل هذا التراب أكثر غرابة من نشأتهم الأولى من هذا التراب [2].

أليس ذلك مدعاة للعجب والدهشة ؟! ومِن ثَمَّ يُضرب سياق الآيات عن استفتائهم ، ويقرر عجب الرسول ﷺ ودهشته من إنكارهم للبعث وهزئهم من عجبه هذا ، وسخريتهم مما يريهم من الآيات والدلائل حتى طبع على قلوبهم ، فلم تفلح معهم موعظة أو يجدي معهم تذكير؟

ويوضح السياق لوناً من هذه السخرية الشديدة فما هذا الذي يأتيهم به محمد في نظرهم -إلا حيل سحرية وخُدعٌ بينة ، وهل نبعث حقًا إذا صرنا ترابًا وعظامًا نَخِرة كما يزعم ويدّعي؟ أو يبعث آباؤنا الأولون كذلك، وقد مضت عليهم السنون ؟ يا للغرابة والعجب!!.

لقد غفل هؤلاء - أو تغافلوا - عن خلق الأكوان من حولهم، بل غفلوا عن خلقهم من طين لازب، وكان موقفُهم هذا هو الحقيق بالعجب والأولى بالغرابة ؛ ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله ﷺ ألا يجادلهم في هذا الأمر ، بل يجيبهم بكلمة واحدة لا تزيد نعم ، نعم تبعثون وآباؤكم وأنتم في أسوأ حال من الصغار والهوان ، فهذا أمر يسير على الله تعالى ، وما هو إلا أن ينفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة حتى يَهُبّ الموتى قياماً ينظرون ، ويتلقى المشركون والكفار ما يستحقونه من عذاب يوم الدين الذي أنكروه في حياتهم .

وبينما هم على هذا الحال من اليقين بحقيقة قيامهم - يناديهم الملائكة والمؤمنون موبخين لهم:

---

(١) من المعلوم أن هذا الالتزام قائم على حكم العقل المحض، حيث إن إيجاد الخلائق كلها لا علاقة له بعظمها أوصغرها إنما هو متعلق بإرادة الله الكونية ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] راجعي تفسير الآية في موضعه .

(٢) تشير الآية الكريمة إلى الأصل المادي الأول لخلق الإنسان في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، والذي لا يتعارض مع تكوين الإنسان ونشأته بالتزاوج والتناسل.

نعم هذا يوم الفصل الحق والقضاء العدل ، فنالوا عقابكم وجزاءكم ، فلن ينفعَكم إيمانُـكُم اليوم في دار الجزاء والبقاء وقد كذبتم بها في دار العمل والفناء ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

[الأنعام : ١٥٧ – ١٥٨] .

مـــن فـــوائـد الآيـــات :

١- جواز الاحتكام في العقائد إلى العقل المجرد عن الهوى إذا كان المخاصم لا يؤمن بالوحي وما جاءت به الرسل منها .

٢- توجيه القرآن أنظار الناس إلى آيات الله في الكون والنفس ، للاستدلال بالمشاهَد منها على الغيب المقدر في علم الله .

٣- أصل الإنسان من الطين ، وعناصره ومواده المكونة لجسمه ، لا تخرج عن عناصر ومواد هذا الطين اللازب .

٤- من دلائل البعث الكبرى وإحياء الأموات من التراب خلقُهم الأول من هذا التراب، قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] .

٥- تعلُّقُ القدرة الإلهية بخلق عظائم الأمور كالسماوات والأرضين ، مُلزِم في العقل بتعلقِها بخلق ما دونها من المخلوقات.

٦- عناد الكفار والملحدين وإنكارهم للعقائد يطبع على قلوبهم فلا تنفعهم الذكرى ولا تجدي فيهم موعظة.

٧- تَيَقُّنُ المشركين والكفار يوم القيامة لحقيقة ما أنكروا من أمور الآخرة حيث لا ينفعُهم يقينُهم.

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « فاستفتهم ، لازب ، داخرون ، يستسخِرون ، ويلنا ، يوم الفصل » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وَلِمَ أشتد رفضُ المشركين له ؟ وما شُبهتهم في ذلك ؟ وماذا تعرفين من دلائل البعث؟

٣- ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ من المتعجِّب ؟ ومن أيّ شيء كان عَجَبُه ؟وَمَنِ الساخرون ؟ ومِن أي شيء كانت سُخريتهم ؟

٤- ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ من القائلون ؟ وما الذي اعتقد أنه سحر مبين؟

٥- (بالغ المشركون في السخرية بآيات الله ودلائله) اشرحي صورة من استسخارهم ، عرفتها في هذا المقطع القرآني ؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني مع شرح واحدة منها .

سؤال المشركين وتلاومهم مع معبوديهم

﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾
مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
احشُروا	اجمعوا ، أمر من الله للملائكة.
الذين ظلموا	أشركوا بالله فظلموا بشركهم ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] .
وأزواجهم	أشباههم في الشرك وعبادة غير الله، المشايعين لهم في تكذيب الرسل (عليهم السلام).
ما كانوا يعبدون	(ما) اسم موصول مبهم ، والمراد به : المعبودون الذين عبدهم المشركون والكفار [١].
فاهدوهم	ارشدوهم ودُلُّوهم .
قفوهم	احبسوهم عند الصراط في موقف الحساب.
مسئولون	مضمون سؤالهم ما ذكر بعدُ في قوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ؛ لأنهم سُئِلوا عن عقائدهم وأعمالهم من قبل.
لا تناصرون	لا ينصر بعضكم بعضاً كما قلتم مِن قبل : ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر : ٤٤] .
مستسلمون	منقادون لأمر الله خاضعون له .
يتساءلون	يسأل الأتباع والرؤساء بعضهم بعضا، في تخاصم وتلاوم وتقريع وتوبيخ.
عن اليمين	أي بالقدرة والقهر منكم لنا، لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء [٢].

(١) هذا من العام المخصوص ، فلا يُعْتَرضُ عليه بعبادة بعضهم الملائكة، وبعضهم المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠١] .

(٢) للمفسرين أقوال كثيرة في تفسير اليمين، كالقوة والحق والخير والجهة، وما اخترناه هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو الأولى لما جاء في رد الرؤساء ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات :٩٣] ، أي بيده اليمنى لأنها أشد وأنكى.

سلطان : قوة وقهر، وقيل : حجة وبرهان .

طاغين : متجاوزين للحق لا تقفون عند حدّ.

أغويناكم : دعوناكم إلى الغيّ والضلال ، وزينا لكم الكفر.

بالمجـــرمـين : أهل الإجرام ، وهم المشركون الذين استكبروا على التوحيد .

يستـكـبـــرون : يستعلون ويترفعون من الأنفة والتكبر.

إلا عبـــاد الله : الاستثناء إما متصل من ضمير الجميع في تُجزَوْن على عمومية الخطاب ، وإما منقطع يعني : لكن عباد الله المخلَصين لا يذوقون العذاب .

المـخلَـصيـن : بفتح اللام الذين أخلصهم الله لتوحيده وعبادته.

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع بأمر الله لملائكته ـ والخلق في ساحة القضاء الحساب ـ أن يجمعوا الظلمة من المشركين وما يقارنهم في ظلمهم مع معبوديهم من الأصناف والشياطين والطواغيت في صعيد واحد، ليرشدوهم جميعاً إلى طريق جهنم ؛ إذ لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم .

ويجيء الأمر الثاني للملائكة باحتجاز هؤلاء جميعاً وحبسهم في الموقف ، ويُسأَلُون في تهكم وتقريع : لم لا ينصر بعضهم بعضا في هذا الموقف الحرج ، وقد كانوا يزعمون نصرتهم في اجتماعهم؟ ولا يحتاج الأمر إلى إجابة ؛ لأنهم منقادون جميعاً ـ عابدين ومعبودين ـ إلى مصيرهم السيء وحينئذ يتبادلون الاتهامات فيُلقي الأولون تَبِعَةَ ضلالهم على رؤسائهم؛ إذ كانت لهم اليد والقوة عليهم، ويسرع الرؤساء برد هذه التَّبِعَةَ على أتباعهم ومُقَّررين : أنكم ما كنت مؤمنين من قبل ، كما لم تكن لنا من قوة نقهركم بها عن الكفر ؛ إذ كنتم متجاوزين لحد فيما تحبون وفيما تكرهون ، فكرهتم الإيمان وأحببتم الكفر والعصيان، فاستأهلتم ما أنتم فيه اليوم ، ووجب علينا وإياكم وعدُ ربنا بالعذاب ، وقوله تعالى :

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣].

وينتهي موقف التلاوم وبتحديد الرؤساء لدورهم في إضلال الأتباع، وهو مجرد غوايتهم عن الهدى، إذ كانت الغواية وظيفتهم، ولما كان هؤلاء وأولئك قد اشتركوا في الضلال والغواية ، فقد أخبر الله عن اشتراكهم في العذاب، وأن هذا العذاب لا يخصهم وحدهم، وإنما يتعداهم إلى من استن سنتهم في الإجرام والشرك، ونهج نهجهم في الغواية والضلال.

وهنا يطلعنا الله على بعض أفعالهم التي استحقوا بها هذا المصير ، إنهم كانوا ينفرون من التوحيد ، ويأنفون من قول : لا إله إلا الله ـ تكبراً منهم واستعلاء ـ ويكذِّبون الرسول ﷺ ، متهمين إياه بالشاعرية والجنون، فكيف لهم ـ كما يقولون ـ أن يتركوا عبادة آلهتهم لقول شاعر يخلط ويهذي؟ ، ولكن الله تعالى يرد استفسارهم مكذِّباً لهم ، فما جاءهم الرسول ﷺ إلا بالحق من التوحيد والبعث ، وسائر العقائد التي جاء بها الرسل السابقون، فكان لهم مصدِّقاً ولنهجهم متَّبِعاً .

وينتهي هذا المقطع بتسجيل العذاب لهؤلاء الكفار الضالين ، وتأكيد تذوقهم له بما أشركوا بالله وكذبوا رسوله ﷺ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٧] ، ويا حسرة هؤلاء ، حين يعلمهم الله أن ليست هذه نهاية عباد الله المخلَصين ، الذين أخلصوا له التوحيد وجردوا أنفسهم لعبادته ، وصدقوا رسوله ﷺ مما استحقوا به عاقبتهم الحميدة التي تعرضها الآيات التالية .

من فوائد الآيات :

١- يُحْشَرُ المشركون والظلمة مع معبوديهم ، وما يشاكلهم في شركهم وظلمهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨].

٢- افتقاد الكفار والمشركين النصير والعون في الآخرة ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٧].

٣- تلاوم الكفار مع معبوديهم ، وتنصلهم في الآخرة من تبعات أعمالهم وظلمهم في الدنيا.

٤- اقتسام المشركين ومعبوديهم للعذاب في الآخرة واشتراكهم فيه ، كما اشتركوا في الدنيا بضلالهم وإضلالهم .

٥- أن عذاب المشركين في الآخرة سببه استكبارهم عن التوحيد في الدنيا وتكذيبهم الرسول ﷺ وكما يشترك معهم فيه من عبدوهم ـ يتجرعه كذلك من نهج نهجهم وسلك طريقهم .

٦- تفسير لا إله إلا الله ، وأن معناها عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « احشروا ، اهدوهم ، قِفُوهم ، اليمين ، سلطان، أغويناكم » .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ ومَن الذين ظَلموا ؟ وما المراد بأزواجهم؟ ومَن المأمور بحشرهم جميعاً ؟ ولماذا ؟

٣- (تفيد الآيات إدخال المشركين ومعبوديهم جهنم) كيف يكون ذلك وقد عبد المشركون الملائكة ، وعبد النصارى عيسى ؟

٤- اشرحي ـ بإيجاز ـ تلاوم المشركين مع معبوديهم كما فهمته في هذا المقطع مبينة :

أ) اتهام الأتباع للمتبوعين .

ب) رد المتبوعين عليهم .

ج) دور المتبوعين في إضلال الأتباع .

٥- ما شبهة المشركين في إعراضهم عن التوحيد ؟ وبماذا رد الله شبهتهم ؟ وما سبب استحقاقهم العذاب في الآخرة ؟

٦- اذكري ثلاث فوائد من هذا المقطع القرآني، مع شرح واحدة منها .

مشهد من مشاهد الآخرة يعرض فيه نعيم أهل الجنة وشقاوة أهل النار

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
رزق معلوم	: ما يُعطَونه في الجنة ، وهو معلوم بطيبه وعدم انقطاعه ، يدل عليه تفسيره بقوله : ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴾ .
فواكه	: ما يتلذذ به من ثمار الأشجار، وخصت بالذكر لأنها من أتباع الأطعمة ، فذكرها مغن عن ذكر غيرها.
بكأس	: الكأس إناء الشراب والمراد به هنا خمر الجنة .
من معين	: من شراب الجنة الذي يجري جريان عيون الماء وظهوره للأعين .
بيضاء لذة	: طيبة لذيذة الطعم ، كما هي طيبة اللون والريح .
غول	: الغول وجع البطن وصداع الرأس من فساد مطعم أو مشرب .
يُنزَفُون	: يسكرون ، يعني أنها لا تذهب بعقولهم .
قاصرات الطَّرْفِ	: الطرف النظر ، وقصره منهن حبسه على أزواجهن، والمراد أنهن عفيفات .
عين	: جمع عيناء وهي حسناء العين واسعتها من النسوة الحور.
مكنون	: شبههن بباطن البيض داخل القشرة والمراد أن لونهن البياض المشوب بصفرة وهو أحسن ألوان النساء .
قرين	: خليل وصاحب ملازم .
المصدِّقين	: متعلق التصديق مفهوم مما بعده يعني : هل أنت من المصدّقين بالبعث والآخرة ؟
لمدينون	: لمجزيون ومحاسَبون .

مطلعون : ناظرون ومشرفون على النار لتروا ما فيها .

سواء الجحيم : وسط الجحيم ، وسواء كل شيء وسطه .

لتردين : أي لتهلكني بوسوستك وإغوائك .

نعمة ربي : فضله عليَّ وهدايته إياي .

المحضرين : الذين أُحضِروا العذاب ، ومعمول الإحضار مفهوم من السياق يعني معك في النار.

موتتنا الأولى : يعني التي مضت في الدنيا ، ولا الثانية تليها إنما هو خلودهم في نعيم الجنة .

الفوز : الظفر بكل خير ، والنجاة من كل شر .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بإجمال عذاب المشركين كيما يعود إليه بعد تحسيرهم وتبكيتهم بتفصيل ما أعده الله لعباده المُخْلَصين من نعيم مقيم ، فهؤلاء لهم من أرزاق الجنة ما حسن منظره ومخبره وطاب طعمه وريحه من فواكه أهل الجنة، التي يتناولونها وهم مُكْرَمون عند اللّه في جنات خلقت لهذا النعيم والتكريم، وتطلعنا الآيات على ألوان من هذا النعيم والتكريم، ينالونها وهم على سررهم تتقابل وجوههم فتأنس نفوسهم وتنشرح صدورهم، ثم هم في مجالسهم يُكْفَون مُؤْنةَ الخدمة، ويُؤتَوْن بشراب أهل الجنة وخمرها الجارية والبيضاء الصافية التي تَلَذّ للشاربين، فلا خمار فيها يصدع الرؤوس ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع، كما لا أثر لها في العقول أو البطون مما يعرفه أصحاب خمر الدنيا [1].

وتتميماً لهذا النعيم ينوه السياق بمحاسن زوجاتهم من الحور العين واللاتي لا تمتد أعينهن إلى غير أزواجهن من فرط حيائهن وعفتهن، مع ما يتمتعن به من سعة عيونهن وجمالهن، ثم هن مع هذا الجمال الحسي والمعنوي لم تبتذلهن الأيدي والعيون، بل هن مصونات يشبهن ـ في رقتهن

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (في الخمر أربع خصال : السكر والصداع والقيء والبول ، وقد نزه الله خمر الجنة عنها) . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧ .

ونقائهن ـ بياض البيض تحت قشرته الرقيقة ، وباكتمال هذه المتع الحسية يزداد حُبُورُ المُخْلَصين وتكتمل سعادتهم ، فيفرغ بالهم ويخلو فكرهم ، ويقبل بعضهم على بعض في سمر بريء يتذاكرون فيه الأيام الخوالي[1]، وهنا يقص أحدهم طرفاً مما وقع له فيقول : إنه كان له صاحب في الدنيا يُكذِّب بالبعث ويسأله ـ في دهشة بالغة ـ إن كان من المصدِّقين حقاً بالبعث واليوم الآخر؟ ويردف متعجباً: أنبعث بعد موتنا ـ وقد صرنا تراباً وعظاماً ـ لنحاسب على أعمالنا وما قدمت أيدينا ؟

ثم يَعِن لهذا القائل ـ من المُخْلَصين ـ أن يرى وصحبُه من أهل الجنة ما آل إليه أمرُ هذا المنكر للبعث ، ويقترح عليهم مشاركتَه في رؤية نهاية هذا القرين ، وما لبث المؤمن أن اطلَّع على أهل النار ليجد صاحبَه في وسطها يتلظى بحَرِّها حيث تَوَجّه له بالقول موبِّخاً : أرأيت مصيرك يا هذا ؟ لقد كِدْتَ ـ والله ـ تهلكني بدعائك إياي إلى إنكار البعث ، ولو لا هداية ربي إياي لكنتُ معك الآن ومع المحضَرين للعذاب الذين يشاركونك حر جهنم ولظاها ، وفي هذه اللحظة يوازن المؤمن بين نهاية قرينه وما نالَه هو وإخوانُه المُخْلَصُون ، فيسألَهم مغتبطا بنعيم ـ الله ـ وعلى مسمع من قرينه إياه ـ هل نحن مخلدون في هذا النعيم فلن نموت دونه ؟ أو لا يصيبنا من الموت إلا ما كان من موتتنا في الدنيا ؟ أو لا نُعَذَّب أبداً كما يُعَذَّب غيرنا من الكفار ومنكري البعث، إن هذا النعيم المقيم والخلود الدائم لهو الفوز العظيم الذي لا يُدْرَك كنهه ، وكفاه أنه عظيم من المنعم العظيم [2] .

ويُخْتَم المقطع بتنبيه المؤمن إلى أن هذا النعيم الذي لا يدركه فوت ولا يعقبه موت إنما ناله هو وإخوانه المُخْلَصون بعملهم الصالح في الدنيا وتجارتهم مع الله، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون .

---

(١) يلاحظ هنا مقابلة القرآن الكريم بين إقبال المخلَصين على بعضهم في مجالس الحبور والسرور، وإقبال الظلمة والمجرمين على بعضهم بالتلاوم والتخاصم، وتلك صفة القرآن في الترغيب والترهيب التي نعرف طرفاً منها في مقابلة نعيم أهل الجنة بعذاب أهل النار.

(٢) يلفت النظر هنا تقدير عظمة الفوز بأسلوب الحصر المستفاد من اسمية الجملة، والتأكيد بأكثر من مؤكد واحد .

من فوائد الآيات :

١- نجاة عباه الله المُخْلَصين من العذاب الأليم المُعَدّ للظلمة والمشركين .

٢- يُعَذّبُ الظلمة والمشركون في الآخرة بأعمالهم السيئة في الدنيا ، كما ينعّمُ المُخْلَصون في الآخرة بأعمالهم الصالحة في الدنيا، وإن كان دخولهم الجنة بدايةً محض تفضل من الله تعالى[١] والأعمال سبب لدخول الجنة وليست ثمناً لها .

٣- تنوع أرزاق المُخْلَصين ونعيمهم في الجنة من المآكل والمشارب والسكن والأنس بالصحاب أو الزوجات الحسان، والسرور وفراغ البال والقيام على خدمتهم، وغير ذلك من تكريم الله لهم .

٤- شدة جمال نساء أهل الجنة بما يفوق الوصف ، وتنزه شرابهم عن نقائص شراب الدنيا.

٥- تحاور المُخْلَصين في الجنة وتذاكرهم أحوالهم في الدنيا، واطلاعهم على أهل النار ومحادثتهم إياهم[٢] .

٦- خلود المُخْلَصين في الجنة ودوام نعيمهم فيها ، إذ لا يموتون بعد موتهم في الدنيا.

٧- لا عاصم للإنسان من إغواء أصحاب السوء إلا فضل الله ورحمته وعصمته ووقايته ، ومن أسباب العصمة اجتناب أصحاب السوء .

٨- أن الفوز العظيم المستحِق لهذا الوصف إنما هو نعيم الآخرة ، الذي لا يدانيه نعيم الدنيا كلها.

---

(١) قال ﷺ : « لن يُدْخِلَ أحداً منكم عمَلُه الجنة » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة » أخرجه مسلم عن أبي هريرة راجعي : الصحيح ـ كتاب المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٦٩-٢١٧٠.

(٢) أما كيفية هذا الاطلاع مع شاسع المسافات واختلاف مراتب أهل الجنة وأهل النار ، فإن ذلك من أمور الغيب التي نمسك عن الخوض فيها ، ويكفينا تصديق الخبر دون بحث في شأنه وكيفيته، فليس من شك في أن الله الذي أقدر المخلوق الضعيف أن يكلم أخاه ويراه في آخر الأرض ، قادر على منح أوليائه في دار كرامته أعلى وأفضل من ذلك ، والله أعلم .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مَعين ، غول ، ينزفون ، مكنون ، قرين ، مدينون ، تردين » .

٢- ما الرزق المعلوم؟ ومَن المستحقون له؟ وبماذا استحقوه؟ هل يَدخُل الجنة أحدٌ بعمله؟

٣- اشرحي ـ بإيجاز ـ مُتَعَ المُخْلَصين الحسية والنفسية ، وبيني صفات شراب أهل الجنة ووجوه تكريم الله لهم .

٤- (دلت الآيات على تحاور أهل الجنة واطلاعهم على أهل النار) صوري بأسلوبك حواراً يدور بين أهل الجنة ، وبيني فائدة اطلاع أهل الجنة على أهل النار.

٥- (أفادت الآيات أن نعيم الجنة هو الفوز العظيم) بأي الأساليب استفدنا هذا المعنى ؟ ومِن أيّ الآيات نستخلص الدعوة إلى إحسان العمل والإخلاص فيه ؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع القرآني، مع شرح واحدة منها.

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
أذلك	: الاستفهام للسخرية والتهكم، والإشارة إلى ما ذكر من نعيم الجنة ورزقها المعلوم .

خير نزلا : النزل الرزق الذي ينزل عليه الناس من الطعام والشراب وغيره، والمراد ما أعد لأهل الجنة، وأفعل التفضيل (خير) على غير بابه إذ لا وجه للخيرة فيما أعدّ لأهل النار من الزقوم وغيره [1].

شجرة الزقوم : التزقم البلع من الألم، وشجرة الزقوم هي التي يُكـرهَ أهلُ النار على أكلها .

فتنة : محنة وعذاباً في الآخرة ، وابتلاء واختباراً في الدنيا.

أصل الجحيم : قرار النار وقعر جهنم، أي أن منبتها هنا وأغصانها ممتدة إلى دركات النار.

طلعها : الطلع ثمر الشجر وما يحمله في أول بروزه.

رؤوس الشياطين : شبه الطلع المحس بهذا المتخيل غير المرئي في شناعة قبحه [2] .

فمالئون : ملء الشيء حشوه عن آخره بما لا يحتمل الزيادة عليه.

لشوبا : الشوب الخلط والمزج بين شيئين .

حميم : الماء الشديد الحرارة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد :١٥] .

مرجعهم : مآلهم ومردهم إلى جهنم، كما في قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٤] .

ألْفَوا : وجـــدوا.

يهرعون : يُسرعون بشدة، من الإهراع والإسراع في شدة وانزعاج.

عاقبة : عاقبة كل شيء آخره، والمراد نهايتهم وخاتمتهم.

---

(١) يراد بجريان التفضيل على غير بابه إثبات الصفة للفاضل فحسب ، كقوله تعالى : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ [الفرقان : ٢٤].

(٢) لم تعرف أشكال الشياطين فضلاً عن رؤوسها ، وتشبيه الطلع بها قائم على ما استقر في الخيال من قُبْح الشيطان ومنظره ، وما زال في الناس من يشبه قبيح الصورة بالشيطان والغول ، وحسنها بالمَلَك ، وهو كذلك استعمال القرآن الكريم ، قال تعالى على لسان من وصفـن جمـال يوسف عليه السلام : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] ، وقال امرؤ القيس يخوف عدوه بقوة أسلحته :

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع ما ينتظر الظلمة والمشركين في مقابلة واضحة بين جزائهم ، وما عرفناه قبل من نعيم المخلَصين [١]، إذ يُسْأَلُ الكفارُ إن كان هذا النعيم خير ضيافة ومنزل، أو ما يُعَدُّ لهم من شجر الزقوم ، الذي يَشُوكُ حلوقَهم ، وتتزقم به حناجرُهم ؟

ويعرف السياق هؤلاء بوظيفة هذه الشجرة الملعونة ، فالتي خسروا منها لقد جعلها الله فتنة للظالمين ، واختبرهم بها في الدنيا [٢]، وعذبهم بها ، وجعلها طعامهم في الآخرة ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ – ٤٦] ، ويبين الله أوصاف هذه الشجرة رداً على منكريها، فهي شجرة أصل منبتها في قرار النار وقعر جهنم، فهي مخلوقة من النار ، وغذيت من النار، فأي غرابة أو استنكار لوجودها في النار ؟ ، أما ثمار هذه الشجرة وطلعها فناهيك به شناعة وقبحاً ، إنه مثل رؤوس الشياطين ، ومع ما عُرِف للظلمة من قبيح أوصاف شجرة الزقوم وطلعها ، فإن الآيات تؤكد على أكلهم منها حتى تمتلئ بطونهم إلى نهايتها ، فليس لهم غير هذا الطعام أو ما هو أسوأ منه ، كالضريع الذي ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ [٣] [الغاشية : ٧].

ثم هم لابد ـ وقد امتلأت بطونهم بما يكرهون ـ قد غلبهم العطش ، ولكنهم لا يغاثون إلا بما هو أقبح من طعامهم وأشنع ، إنه ماء الحميم الشديد الحرارة المختلط منه إلى أجوافهم قطع أمعاءهم، كما قال الله عنهم : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ . . . ﴾ [الكهف : ٢٩] ، ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥].

---

(١) هذه طريقة القرآن الكريم في عرضه الأشياء المتقابلة ، كالوعد والوعيد قصداً للترغيب والترهيب، حتى يظل المؤمن بين الخوف والرجاء.

(٢) حين سمع الكفار عن هذه الشجرة قالوا للمسلمين : يزعم صاحبكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجرة ، فكان ذلك اختبار لهم بها كقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء:٦٠].

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال : « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه » أخرجه الترمذي في السنن في أبواب صفة جهنم ٤/ ١٠٧.

ثم يأتي هؤلاء أخيراً إلى ختام جزائهم ، أنه مأواهم ومـردهم الذي ينتـهون إليه ، نـار تتـأجج ، وجحيم تتوقد .

ويلفت السياق النظر هنا إلى سبب استحقاق هؤلاء ما ينتظرهم من هذا الجزاء إنه انحرافهم عن الفطرة السليمة ، وتقليدهم للآبــاء مع ما هم عليه من ضـلال بيّن ، واستمـساكهم الشـديد بضلال آبائهم[1]، كأنهم مدفوعون دفعاً إلى هذا الضلال والانحراف.

ويختتم هذا المقطع بتسلية الرسول ﷺ على كفر كثير من قومه، فما هم إلا بقية من أولئك المكذبين الضالين ، الذين ساروا على ضلال الأولين ، وكذبوا برسلهم الذين أنذروهم سوء العاقبة ، فرفضوا إنذارهم كما يفعل هؤلاء الآن من قومك ، فهل ينظرون إلا عاقبة مثل عاقبتهم؟ وها هي عاقبتهم معروضة للأنظار في آثارهم الباقية ، إنها الدمار والهلاك لمن كذب من الظلمة والمشركين ، والنجاة والفلاح لمن صدّق من عباد الله المُخْلَصين ، تلك النهاية التي تجملها الآيات هنا ، وتفصلها قصص الأنبياء المعروضة في المقاطع التالية .

مـــن فــوائــد الآيــات :

١- السخرية بالظلمة والمشركين في معرض إطلاعهم على نُزُلهم في اليوم الآخر.

٢- المقابلة بين نزل المُخْلَصين ، ونزل الظلمة والمشركين في الآخرة قصداً للترغيب في الأول والترهيب من الثاني.

٣- امتحان الله للظالمين في الدنيا بهذه الشجرة الملعونة، ثم تعذيبهم بها وجعلها طعامهم في الآخرة.

٤- ظهور خصائص بلاغية لأسلوب القرآن في هذا المقطع كالمقابلة والتشبيه بالمتخيل ، والتأكيد بأكـثر من مؤكِّـد .

---

(١) نهى القرآن الكريم والسنة كـثيراً عن مثل هذا الموقف في مجال العقيدة وغيرها ، قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٣] ، وقال ﷺ : « لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » أخرجه الترمذي في أبواب البر ٣/ ٢٤٦.

٥- افتراق عالم الغيب عن عالم الشهود وامتناع قياسه عليه، وهو المعنى المستفاد من منبت شجرة الزقوم في قعر جهنم.

٦- أبرز آفات البشرية ركونها إلى تقليد الآباء في عقائدهم، وعدم النظر في مخلوقات الله ، للوصول إلى العقيدة الصحيحة.

٧- في الآيات تسلية للرسول ﷺ على كفر كثير من قومه ؛ إذ إن هذا شأن رسل الله مع أقوامهم.

٨- الإشارة إلى سنة الله في الخلق بإهلاك أعدائه المكذبين بالوحي ، ونصرة أوليائه من المؤمنين المُخْلَصين .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « نزلاً ، فتنة ، طَلْع ، شوباً ، حميم ، ألفوا ، يهرعون ، عاقبة » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وماذا تعرفين عن :

أ) شجرة الزقوم .

ب) رؤوس الشياطين.

٣- حددي عناصر التقابل بين جزاء الظالمين هنا ونعيم المُخْلَصين في المقطع السابق ، ثم صفي بخاصة مطعم الظلمة ومشربهم .

٤- « جعل الله شجرة الزقوم فتنة للظالمين » ما وجوه افتتانهم بهذه الشجرة ؟ وما شبهة المشركين التي عرضوها ؟ وبم رد القرآن عليهم ؟

٥- ما الحكمة في مجيء جزاء الظالمين بأسلوب مشدد التأكيد ؟ وماذا تعرفين من صور بلاغية أخرى في هذا المقطع ؟

٦- ما السبب في انحراف البشرية عن التوحيد ؟ وماذا تحفظين من الآيات في ذلك ؟ وبماذا عزَّى الله رسوله ﷺ ؟ وماذا كانت عاقبة المنذرين ؟

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع، واشرحي واحدة منها .

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة الصافات).

معاني المفردات :

	معناها
نادانا نوح :	دعانا ، والمراد الاستنصار بالله على كفار قومه ، كقوله تعالى حكاية عنه : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠].
نِعْم المجيبون :	كلمة تستعمل في مدح ما تسند إليه ، قال تعالى ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠].
وأهله :	أهل الرجل عشيرته الأقربون، والمراد أهل دينه والقليل الذين آمنوا معه.
الكرب :	الغم الشديد، والمراد به إيذاء قومه له ، وقيل : الغرق.
في الآخِرين :	بكسر الخاء، التالين لمن قبلهم، يعني الأمم التي جاءت ـ وتجيء ـ بعد أمته إلي يوم القيامة.
المحسنين :	إحسان الشيء إتقان فعله [1] ، والمراد : إخلاص نوح في دعوته.
شيعته :	شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، والسائرون على منهجه وسنته.
أئفكا :	الاستفهام للإنكار ، والإفك صرف الشيء عن وجهه ، ومنه الكذب والافتراء
ما ظنكم :	الاستفهام للتحذير ، ومعناه أي شيء توهمتموه بالله حتى أشركتم به غيره ؟
فنظر نظرة في النجوم :	تفكر فيما نجم له وظهر من الرأي ، أو نظر في النجوم للاستدلال بها كما يفعل قومه من أجل مناظرتهم.
سقيم :	السقم المرض ، والمراد ضيق فؤاده واعتلال نفسه.

(١) جاء في تعريف رسول الله ﷺ للإحسان ـ وجبريل يسأله عنه ـ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أخرجه البخاري عن أبي هريرة في تفسير سورة لقمان ـ باب إن الله عنده علم الساعة، فتح الباري ٨/ ٥١٣.

فراغ : مال في خفية وخفة من الروغان وهو الميل.

يزفُّون : يُسْرِعون في مشيهم ، والزفيف الإسراع.

تنحِتُون : تصنعونه بأيديكم من النحاتة في الأحجار والصخور.

وما تعملون : (ما) مصدرية يعني خلقكم وعملكم ، ويصح أن تكون موصولة ، يعني خلقكم والذي تعلمونه ، وهو الأولى بسياق الكلام.

كيدًا : الكيد المكر والحيلة، والمراد إهلاكه بإلقائه في النار.

الأسفلين : الأسفل المقابل للأعلى ، والمراد : المقهورين المغلوبين.

ذاهب إلى ربي : مفارق لديار قومي ومهاجر إلى ديار أخرى، أتمكن فيها من عبادة الله والدعوة إليه.

المعنى الإجمالي للآيات :

اختتم المقطع السابق بالإشارة إلى هلاك الظلمة ونصرة المؤمنين من أقوام الأنبياء عليهم السلام، وتفصل المقاطع التالية : قصة الصراع بين الأنبياء وضلال أقوامهم منذ زمن نبي الله نوح عليه السلام، الذي لبث في قومه طويلاً يدعوهم إلى الله ، ولكنهم كذبوه ولم يؤمن معه إلا القليل، ولما يئس من قومه دعا ربه فأجاب دعاءه ، ونجاه الله ومن تبعه من المؤمنين لتمتد بهم الحياة ومن يخلفونهم من ذراريهم[1].

وتضمنت إجابة الله لنوح إبقاء الذكر الجميل له في الأمم التالية إلى آخر الزمان، حيث تلهج كلها بالسلام عليه، وهكذا يكون جزاء الله للمحسنين من عباده المؤمنين المخلصين له في القول والعمل ، أما الآخرون الذين كفروا بالله وكذبوا نوحاً عليه السلام فكانت نهايتهم إهلاكهم بالغرق، وذهابهم مع من ذهب في الطوفان.

(١) هذا ظاهر الآية، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويؤيده ضمير الفصل فيها المشعر أنهم وحدهم هم الباقون دون غيرهم.

وتجيء حلقة الصراع الثانية عند إبراهيم عليه السلام، الذي كان على نهج نوح عليه السلام في دعوته إلى الله، وتبعاً له في أمور العقيدة وأصول الشريعة، التي يجتمع عليها أنبياء الله [1]، ﴿ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٠] كما ظهر في إسلامه أمرَه إلى الله ، ونقاء فطرته، المعبر عنهما بمجيئه ربه بقلب سليم.

ولقد دفعت إبراهيمَ فطرتُه إلى استنكار عبادة قومه غير الله، حيث توجه إلى أبيه وقومه موبخاً إياهم على سفههم : أي شيء تعبدون ؟ أهذه التي لا تضر ولا تنفع ؟ فماذا دهاكم ؟ أقصدتم بعبادتكم إياها إلى الإفك والكذب قصداً ؟ وأيَّ شيء تصورتم الله حتى تشركوا به هذه الأشياء ؟ وما تظنون أنه فاعل بكم وقد عبدتم غيره ؟

ولم ينتظر إبراهيم ـ في المشهد ـ إجابة منهم ، بل مضى مفكراً في الأمر ومقدراً ماذا يصنع مع هؤلاء ومعبوداتهم ـ وهم الذين دعوه إلى المرح واللهو معهم في عيدهم، بعد أن قدموا لمعبوداتهم ما تباركه من مأكولاتهم ـ وهنا انتهى إبراهيم إلى قراره بالبقاء لتنفيذ ما فكر فيه وقدَّر، وقد بلغ ضيقه بما هم فيه أقصاه، فبدأ مهموم النفس ، واعتذر لهم باعتلاله [2] ، عن عدم مشاركتهم ، فأعرضوا عنه وأسرعوا إلى احتفالهم ، وأسرع هو إلى آلهتهم ساخراً بها داعياً إياها إلى تناول ما أمامها من طعام ؟ ، ويبالغ في سخريته بها : لم لا تنطق ولا تجيب ؟ وهنا أسرع إبراهيم بضرب الأصنام وتحطيمها بكل قوته، ولم يتركها إلا جذاذاً متناثراً ، فشفى بذلك نفسه من الهم والضيق الأليم.

وأقبل قوم إبراهيم إليه مسرعين يستنكرون فعلته ـ وهم كثرة غاضبة ـ ولكن إبراهيم ـ وهو فرد ـ يواجههم بالحق ولا يأبه لجموعهم ، بل يوبخهم كيف يعبدون آلهة نحتوها بأيديهم ؟ وكيف يعبد الصانع ما صنع ؟ ألم يدركوا أن الحقيق بالعبادة هو الصانع الوحيد وهو الله الذي خلقهم وخلق

---

(١) قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾ [الشورى : ١٣].

(٢) ما روى في الصحيح أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب إلا ثلاث كذبات وهي : (إِنِّي سَقِيمٌ ، بَلْ فعله كبيرهم هذا ، سارة أختي) ليس من الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، إنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ، كما قال عمر بن الخطاب: (أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب ؟ ولهذا قال ﷺ عن هذه الثلاث : « ما منها كلمة إلا ما حَلَّ بها عن دين الله ») أي نافح ودفع، فتح الباري ـ باب الأنبياء ٦/ ٣٨٨ ، سنن الترمذي ـ تفسير بني إسرائيل ٤/ ٣٧٠.

ما يصنعون ؟ ولكن قوم إبراهيم لم يستمعوا لقول الحق ، وقرروا الخلاص من إبراهيم بإلقائه في نار محرِقة ، يحيطونها ببناية عظمية ، فلا يستطيع منها فراراً.

وهكذا مكـروا بنبي الله فأين ذهب كيدهم ومكـرهم ؟ لقد نجاه الله من النار ، وكانت عليه ـ بأمر الله ـ برداً وسلاماً ، ورد كيدهم فكانوا هم المقهورين، وينتهي أمر إبراهيم مع قومه وأبيه بإعلانه مفارقته لهم مسلماً نفسه إلى ربه ، لعله يهديه إلى من يؤمن به ويقوى بهم ، حيث تبدأ صفحة أخرى من صفحات حياته.

مـــن فـوائـــد الآيـــات :

١- استجابة الله لدعوات أنبيائه ونصرته لهم عند استنصارهم به ويأسهم من إيمان قومهم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

٢- من بقي من البشرية بعد الطوفان هم من ذرية نوح ومن آمن معه من أبنائه الذين ركبوا سفينته.

٣- إن إحسان العمل والإخلاص فيه مجزيّ عليه بالذكر الحسن والثناء الجميل.

٤- اختتام دعوات الأنبياء بنصرة الله للمؤمنين وإهلاكه للكافرين ، حتى صار ذلك سنة ماضية.

٥- وحدة المنهج الإلهي للبشرية ـ في العقيدة وأصـول الشـريعة ـ منذ أولى الرسـالات حتى آخـرها.

٦- كمال الانقياد والاستسلام لله عند إبراهيم عليه السلام وسلامة عقيدته، ثم صلابته في الحق ومواجهة الباطل.

٧- التجاء الباطل وأصحابه إلى البطش بالحق وأهله، عند ظهور الحق وزهوق الباطل.

٨- مشروعـيـة الهجـرة للدعـاة فراراً بدينهم عن اشتداد الباطل عليهم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ [النساء : ٩٧].

المناقشة

١- وضحي معـانـي الكلمات القرآنية التالية : « الكرب ، الآخرين ، شيعته ، إفكاً ، راغ ، يزفون ، تنحتون ، كيداً » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بالمقطع السابق عليه ؟ وبماذا نادى نوح ربه ؟ ولماذا ناداه؟

٣- كيف كانت إجابة الله لنوح ؟ وما الذي تركه الله عليه في العالمين ؟ وما سبب استحقاق نوح لهذا ؟

٤- كان إبراهيم عليه السلام أمة وحده، وما أمارة ذلك عنده؟ وماذا أدت إليه في معاملة قومه؟

٥- ما المقصود بنظر إبراهيم عليه السلام في النجوم ؟ وماذا كانت وسائله في تنفيذ مراده ؟

٦- هل كذب نبي الله إبراهيم بقوله : (إني سقيم) ؟ وكيف نفهم الحديث الصحيح (لم يكذب إبراهيم سوى ثلاث كذبات) ؟

٧- وضحي كيف حاج إبراهيمُ قومه في عبادتهم للأوثان ؟ وكيف قابلوا هم محاجته ؟ وما عاقبة كلٍّ كما ذُكِرت في المقطع ؟ .

٨- اذكري ثلاثة فوائد عرفتها في هذا المقطع القرآني ، مع شرح واحدة منها .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ (سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
هب لي	: فعل الأمر من وهب ، معناه سؤال إبراهيم الولد من الله .

بشرناه : من البشارة وهي الإنباء بالخبر السار، فإن أريد غيره قيد به كقوله : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الإنشقاق : ٢٤] .

غلام : هو الصبي إذا طر شاربه ووصل حد البلوغ والتكليف.

حليم : من الحلم وهو العقل ، و المراد أنه سيكبر إلى أن يبلغ الحلم والعقل .

السعي : العَدُو والكسب ، والمراد الوصول إلى السن التي يسعى فيها مع أبيه .

أسلما : استسلما وانقادا لأمر الله .

وتلَّه : أضجعه على جبينه أو كبّهُ على وجهه .

الجبين : أحد جانبي الجبهة ، فللوجه جبينان الجبهة بينهما .

صدَّقت الريا : عزمت على الإتيان بما رأيته، وحققت المطلوب بامتثالك وولدك لأمر الله .

البلاء : الابتلاء والاختبار ، ويكون بالمكروه كما هنا، ويكون بالمحبوب قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

فديناه : جعلنا الذَّبح فداء له وبدلاً عنه .

بذبح : حيوان يذبح، وهو الكبش الذي وجده إبراهيم مهيأ بإرادة الله للذبح بدلاً عن ابنه.

باركنا عليه : أفضنا عليه البركات ، وأسبغنا عليه النعم.

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع بتوجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه يسأله أولاداً صالحين، يكونون عوضاً من قومه الذين فارقهم ، ويستعين بهم في مهجره وغربته، ويستجيب الله دعاءه فيهبه على الكبر غلاماً ، وينبئه ببلوغه الفتوة والحلم ، وما أن كبر الغلام وصار يمشي مع أبيه في أشغاله وتقر به عين أبيه حتى يرى

إبراهيم في منامه أنه يذبحه [1] ، ويلبي إبراهيم داعي الله في رضا واستسلام ، ويقص رؤيته على ابنه ليعلم ما عنده فيما نزل عليه من بلاء الله ويطلب منه التروي في الإجابة ولكن الابن يرتقي إلى ما ارتقى إليه أبوه من الرضا بأمر الله والتسليم بقضائه، فيعلن أباه في تودد أن يقدم على أمر الله فلن يجد ابنه ـ بفضل الله وعونه ـ إلا صابرا محتسباً.

وينتقل مشهد التضحية الفريد في تاريخ البشرية من القول والحوار على الفعل والتنفيذ، ويكب الأب ابنه على وجهه ويقدم على ذبحه ، وما يكاد يتم أمر الله حتى يُنادَى إبراهيم : كفاك امتثالاً لأمر الله ، فقد حصل المقصود من رؤياك بهذا الكب والشروع في الذبح، ولم تغلبك عاطفة الأبوة ، ثم امتنعت لما ناديناك وخلصناك من بلائك، وهكذا يكون جزاؤنا للمحسنين في طاعتهم الله المخلصين له في أعمالهم ،نجزيهم بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن .

وتقرر الآيات عظمة هذا الاختبار ، كما تشير إلى عظمة التضحية التي صارت ذكراها منارة لحقيقة الاستسلام والإخلاص ، وسنة تذكر المسلمين بحقيقة أبي الأنبياء الذي تتبع ملته ، وتشير إلى عظمة جزاء التضحية والصبر على البلاء والذي تذكر الآيات منه فداء الغلام بذبح عظم، وإبقاء الذكر الحسن لإبراهيم عليه السلام ؛ إذ صار محببا لكل الأمم ومن كل الملل ، وهكذا يكون جزاء المحسنين من عباده المخلصين في القول والعمل ، الصادقين في إيمانهم .

ويختم هذا المقطع بمثل ما بدىء به من البشارة ، ولكنها بشارة بولد آخر يهبه الله إياه ويجعله نبياً صالحاً ، ثم يفيض الله عليه وعلى ولده إسحاق النبي من البركات [2] ، ولتمتد بذريتهما أسباب الحياة،

---

(١) يذكر المفسرون خلافاً طويلاً في تعيين الذبيح الذي لم يقم دليل قاطع بتعيينه، والقرب أن يكون المراد به إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر ابن كثير في ذلك كلاماً لا يجوز إغفاله إذ قال : (وهذا الغلام هو إسماعيل فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، والمنصوص عليه في كتب أهل الكتاب أن المأمور بذبحه هو وحيده وبكره، ولا ينطبق الوصفان إلا على إسماعيل، ولكن اليهود حرفوا هنا وأضافوا لفظ إسحاق تفسيراً للوصفين لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ . [هود :٧١] أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل ، فلا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير) راجعي تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٤

(٢) كثر الله نسلهما في الدنيا وجعل منه الأنبياء والرسل وأشاع الدعاء لهما بالبركة على ألسنة المسلمين في صلواتهم ؟ إذ يقولون : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين .

فمن أحسن إيمانه وعمله من هذه الذرية ، أسلم وجهه إلى الله وآمن بجميع الرسل عليهم السلام ، كما ـ هو حال المسلمين ـ فقد أحسن انتسابه إليهما ، ومن أساء اعتقاده وعمله فظلم نفسه بالكفر والمعصية وفرق بين الرسل ـ كما هو حال الكتابيين من اليهود والنصارى ـ لم ينفعه انتسابه لهما فـ « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » كما قال ﷺ [1].

من فوائد الآيات :

١- استجابة الله لدعاء من أقبل عليه مخلصاً ، كما وَهَب إبراهيم الولد على كِبَرٍ منه وزوجه.

٢- بلوغ إبراهيم وولده الذبيح أعلى مراتب الاستسلام لأمر الله ، بقبولهما التضحية في رضا وصبر على مراد الله .

٣- سمو عاطفتي النبوة والأبوة عند إبراهيم وولده عليهما السلام ، ومعاونة كل منهما الآخر على احتمال البلاء.

٤- عظمة الجزاء من الله على التضحية والصبر والإحسان والإخلاص : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

٥- استدامة الذكر الحسن لإبراهيم في العالمين من بعده، وإحلال البركة عليه وعلى آله .

٦- انتساب المرء للصالحين من عباد الله لا ينفعه مع ظلمه لنفسه، إنما ينفعه عمله الصالح وحسن التأسي بهم .

٧- شهادة القرآن الكريم والكتب ووقائع التاريخ على أن الذبيح المفدى من ولد إبراهيم هو ابنه إسماعيل عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة . راجعي الصحيح ـ كتاب الذكر والدعاء ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « هب ، بشرناه ، السعي ، تلّـه ، الجبين ، البلاء » .

٢- ما الحكمة في عدم إتمام ذبيح إبراهيم لابنه ؟ وكيف يكون إبراهيم ممتثلاً للأمر مع عدم تنفيذه وضحي المسألة ؟

٣- أيُّ آيات هذا المقطع قررت عظمة البلاء ؟ وما الحكمة في التقرير مع وضوح عظمة البلاء؟

٤- « أبقى الله لإبراهيم في العالَمِين ثناء حسناً ، وبارك عليه وعلى آله » ما مظاهر هذين فيما فهمته من المقطع ؟

٥- نصت الآيات على ظلم بعض ذرية إبراهيم وإسحاق لأنفسهم ، مَن هؤلاء الظلمة منهم؟ وهلا نفعهم انتسابُهم إلى هذين النبيين؟ ولماذا؟

٦- من الذبيح المفدى ؟ وهل هناك دليل قاطع في المسألة ؟ .

٧- اذكري ثلاث فوائد عرفتها في هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ
الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
منَنَّا	: المن الإنعام أي : أنعمنا عليهم .
الكرب	: الهم الذي يكرب صاحب ، والمراد به : إذلال فرعون لبني إسرائيل. وقيل : الغرق الذي أصاب فرعون وقومه .
نصرناهم	: أيدناهم على أعدائهم من فرعون وملئه.
الكتاب المستبين	: المراد بالكتاب التوراة، والمستبين الواضح الظاهر.
الصراط المستقيم	: الطريق القيم الذي لا اعوجاج فيه ، وهو دين الإسلام.
إلياس	: أحد أنبياء بني إسرائيل ، وهو من سبط هرون بن عمران أخي موسى ، ويعرف في كتب اليهود باسم إيلياء .
أتَدْعون	: أتعبدون ، والاستفهام للإنكار .
بعلا	: اسم للصنم الذي عبده أهل بعلبك ، الذين أرسل إليهم إلياس .
تذرون	: تَتْرُكُون.
أحسن الخالقين	: لا يلزم من أفعل التفضيل ثبوت الخلق لغير الله ، والمراد أحسن ما يقال له خالق.
إل ياسين	: المراد إلياس ، وهو لغة فيه لبعض العرب ، كأنهم جمعوه فجعلوا أصحابه داخلين معه.

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع لمحات سريعة من قصص ثلاثة أنبياء من بني إسرائيل هم موسى وهارون وإلياس، يبدأ بتقرير ما أنعم الله به على موسى وهارون من النعم الكثيرة، والتي منها اصطفاؤهما واختيارهما لرسالته، وإنجاء الله لهما وقومهما من استعمال فرعون إياهم في أخس المهن والصناعات، ونصرة الله لهم وتأييدهم، حتى أصبحوا ظاهرين على أعدائهم غالبين لهم ، وإتيانهما التوراة كتاباً واضحاً فيه الهدى والنور، وإرشادهما إلى طريق الاستقامة والإسلام إلى الله الذي يهدي إليه المؤمنين من عباده، وإبقاء الذكر الحسن لهما في الأجيال والقرون التالية، فهذا جزاء المحسنين الذي يلقونه جزاء إحسانهم وإخلاصهم ، وصدق إيمانهم ويقينهم.

ويعقب السياق بلمحة أخرى من قصة نبي الله إلياس، يؤكد فيها إرسال الله إياه إلى قومه من بني إسرائيل، الذي سكنوا شمالي الشام في بعلبك ، وعكفوا على عبادة صنم لهم يدعى (بعلا) منحرفين عن هدي التوراة ونورها ، وقد دعاهم إلى تقوى الله وتوحيده، واستنكر عليهم عبادتهم صنماً لا يضر ولا ينفع، وتركهم من يستحق العبادة وحده، وهو خالقهم الذي لا خالق سواه ، وهو ربهم ورب آبائهم الأولين الذي لا رب غيره، ولكن القوم كذبوا رسولهم، فكانت عاقبتهم أن استحقوا حضورهم للعذاب يوم القيامة، الذي لن ينجو منه إلا من أقلع عن عبادة البعل ، وهداه الله فأخلص له الطاعة والعبادة .

وتختم هذه اللمحة بتقرير الآيات إبقاء الذكر الحسن والثناء الجميل لنبي الله إلياس عليه السلام في الأجيال التالية له ، فهذا جزاء المحسنين الذي يلقونه جزاء إحسانهم وإخلاصهم وصدق إيمانهم ويقينهم .

مـــن فــوائـد الآيــات :

١- كثرة النعم التي مَنَّ الله بها على نبيه موسى وهارون عليهما السلام .

٢- نزول التوراة على النبيين واضحة، تهدي إلى منهج الله المستقيم والإسلام الصحيح .

٣- ظهور الوثنية في بني إسرائيل بعد موسى وهارون ، وانحرافهم عن دين الله والعبادة الحقة .

٤- عاقبة المكذبين للرسل بالهلاك والهزيمة ، ونصرة أولياء الله المخلَصين جزاء إحسانهم وإخلاصهم.

٥- الثناء الطيب والذكر الحسن في الناس لعباد الله المخلَصين ، هو بعض من جزاء الله لهم بعد موتهم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مَنَنَّا ، الكرب ، الصراط ، إلياس ، تدعون ، بعلاً ، تَذَرُون » .

٢- اذكري ما عرضه المقطع من النعم على موسى وهارون . وماذا كانت عاقبة المؤمنين من قومهما ؟ ومن الذين نُصروا عليهم ؟ وما المراد بكل من : الكتاب المستبين ، الصراط المستقيم ؟

٣- متى ظهرت الوثنية في بني إسرائيل؟ وأين؟ وكيف دعا إلياس قومه؟ وبما أجابوه؟ وماذا كان جزاؤهم؟

٤- ما جزاء المحسنين المخلصين ؟ وبماذا عللت الآيات استحقاقهم إياه ؟ وضحي فائدتين عرفتهما في هذا المقطع .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾
وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ
مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾
وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ
أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
لوطاً	ابن أخي نبي الله إبراهيم عليهما السلام، أرسله الله إلى أهل سدوم الذين سكنوا وادي الأردن بنواحي الشام.

عجوزاً : العجوز المرأة الكبيرة ، والمراد بها امرأة لوط .

الغابرين : جمع غابر ، وهو بمعنى الماضي أو الباقي .

يونس : هو ذو النون بن متى ، وقد بعثه الله إلى قومه بقرية نينوى من أرض الموصل.

أَبَـــــــــــــق : أصله من الإباق وهو هرب العبد من سيده ، وُصِف به يونس لما فارق قومه بغير إذن ربه.

الفلك المشحون : السفينة الجارية على الماء ، يطلق على الواحد والجمع سواء ، والمشحون الممتلئ بالناس.

فساهم : من المساهمة وهي الاقتراع ، يعني قارع أهل السفينة.

المدحَضِين : المغلوبين بالقرعة.

فالتقمه : فابتعله.

مُليم : مستحِق للوم ، وهو الذي يأتي بما يلام عليه.

فنبذناه : النبذ الطرح والإلقاء ، يعني ألقيناه وطرحناه

بالعراء : الأرض الخالية من النبات والبناء.

سقيم : السقم المرض، والمراد ضعف الجسد المنهك بسبب ابتلاع الحوت له.

يقطين : هو ما عرش من الأشجار على غير سيقان، كالدباء (القرع العسلي) والموز وما يشبههما.

حين : الحين الزمن المحدد، والمراد مدة بقائهم في الدنيا وانتهاء أعمارهم.

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض لنا هذا المقطع لمحتين أخريين ـ يختم بهما قصص الأنبياء مع أقوامهم في هذه السورة وتأتي اللمحة الأولى عن نبي الله لوط عليه السلام لتؤكد نبوته ورسالته إلى قومه ،الذين أتوا من المنكرات والفواحش ما لم يأت به أحد من العالمين ، فنصحهم وحذرهم فلم ينتصحوا أو يحذروا

حتى أنزل الله بهم عذابه[1]، وعقوبته ، ونجى الله لوطاً من بين أظهرهم هو وأهله ، غير امرأته العجوز التي هلكت مع ألهالكين من قومه، حيث شاركتهم تكذيبهم لوطاً عليه السلام، وعصيانهم أمر ربهم .

ويوجه سياق الآيات الموعظة المباشرة لأهل مكة المشركين، ويرشدهم إلى النظر والاعتبار بما حلّ بقرى قوم لوط، حيث آثار دمارها باقية على طريق القوم في ذهابهم وإيابهم صباحاً ومساءً ، فهلا اعتبر هؤلاء وتعقلوا ما وقع لغيرهم ؟!

وتأتي اللمحة الثانية لتؤكد رسالة يونس عليه السلام إلى أهل نينوى ، الذين نصحهم وأوعدهم عذاب الله ينزل بهم قريباً، فلما استبطأ نزول العذاب بهم رحل عنهم قاصداً ساحل البحر، حيث وجد سفينة مملوءة بالناس فركبها معهم، وما أن بلغت السفينة عرض البحر حتى أشرفت على الغرق، ولم يجد ركابها بُدًّا من الاقتراع فيما بينهم ليفتدوا أنفسهم بواحد منهم يُلْقَى في البحر ، فكان يونس عليه السلام هو ذاك ، وأدرك أن تركه قومه دون أن يأذن له الله هو عمل يلام عليه ، وما لبث أن ابتلعه الحوت وهو مستشعر ما اقترفه في حق ربه .

ولكن يونس عليه السلام لم ينس ربه مع هذا الضيق ، ولم يتخل عن تسبيحه لله الذي كان عليه قبل شدته : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ[2] أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧]، ولولا تسبيحه هذا وإقراره بظلمه لظل مقبوراً في بطن الحوت حتى يبعث الله الخلائق؛ ولكن الله أجاب نداءه فأوحى إلى الحوت أن يقذف به إلى الساحل في خلاء لا بناء فيه يأويه وأدركته عناية الله ورحمته فأنبت له شجرة تظله بورقها العريض ، وما أن استرد يونس عليه السلام عافيته حتى رجعه الله إلى قومه وقد بلغوا أكثر من مئة ألف ، وكانوا قد خافوا عذاب الله بعد خروج يونس عليه السلام، فاستغفروا ربهم وآمنوا ، فكشف الله عنهم العذاب ، ومتعهم في الدنيا حتى انتهت آجالهم كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .

(١) ذكرت هذه العقوبات في سور أخرى مثل قلب الملائكة لقراهم وإمطارهم بحجارة من سجيل.

(٢) المقصود بها ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر ، ثم ظلمة الليل هكذا المروي والله أعلم .

من فوائد الآيات :

١- هلاك امرأة لوط عليه السلام مع قومه لم ينفعها اقترانها به ، إذ كانت على دين قومها ومعاونتهم على فجورهم .

٢- بقاء آثار الهالكين من قوم لوط وقراهم مجالاً للعظة والاعتبار لمن يمر عليها .

٣- ضرورة مصابرة الداعي لمن يدعوهم ويجاهدهم، وعدم يأسه من استجابتهم لدين الله وأمره .

٤- جواز المساهمة والاقتراع بين المسلمين وارتكاب أخف الضررين لتفادي أثقلهما .

٥- عقاب الله في الدنيا لمن يحيد عن منهجه من أوليائه وأحبابه ولو كان نبياً مرسلاً .

٦- قدرة الله العظيمة في رعايته لنبيه يونس وحفظه له وهو ببطن الحوت وبالعراء .

٧- أن ذكر الله وتسبيحه والتقرب إليه بالعمل الصالح، من وسائل النجاة من الشدائد والمحن .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « عجوزاً ، الغابرين ، أبق ، ساهم ، المدحضين ، التقمه ، مليم ، العراء ، يقطين » .

٢- بماذا أهلك الله قوم لوط ؟ ولماذا أُهْلِكَت امرأته معهم ؟ ومَنِ المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ . . . ﴾ ؟

٣- عرفي نبيَّ الله لوطاً ويونس عليهما السلام . وإلى مَن أُرسل كل منهما ؟ وما مظاهر رعايته تعالى لنبيه يونس ؟

٤- ما عاقبة قوم يونس عليه السلام ؟ وما الذي استحقوا به هذه العاقبة ؟ وما أهم ما يفيد المؤمن في شدته وكربته؟

٥- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني الممفردات :

الكلمة	معناها
فاستفتهم	: الاستفتاء طلب الفتيا ، والمراد سؤال الكفار والمشركين عما تنكره العقول من زعمهم الباطل في نسبة البنات والبنين.
ألربك	: الاستفهام للتوبيخ والتقريع والاستنكار.
أم خَلَقْنا	: أم بمعنى بل، وهي للإضراب عن التقريع والاستنكار في استفهام إلى ما هو أشد تقريعاً واستنكاراً.
شاهدون	: حاضرون عند خلق الله للملائكة.
أصطفى	: تكرار للاستفهام الإنكاري لتقريعهم وتوبيخهم ، والاصطفاء الاختيار وأخذ الصفوة.
فأتوا بكتابكم	: الأمر هنا للتعجيز ، والمراد بالكتاب : ما ينطق بحجتهم من نقل مكتوب أو وحي منزل .
الجِنَّة نسبا	: الجنة هم الملائكة لاجتنانهم واستتارهم ، ونسبهن أنهن بنات الله كما زعموا ، أو الجِنّ ونسبهم زواجه منهم تعالى عن ذلك.
بفاتنين	: بمضلين ومفسدين، ومن قولهم : فتن فلان على فلان امرأته أضلها وأفسدها عليه.
صال الجحيم	: أي مصطل بنارها.
مقام معلوم	: مرتبة في العبادة لا يتجاوزها ، ووظيفة في الطاعة لايتعداها.
ذكراً	: أي كتاباً من كتب الأولين ، كالتوراة والإنجيل.

المعنى الإجمالي للآيات :

تتجه آيات المقطع مباشرة إلى مناقشة المشركين حول الملائكة وتحاجهم بمنطقهم مجاراة لهم كيما توقفهم على بطلان مزاعمهم ، فيأمر الله نبيه ﷺ بسؤال المشركين ـ في تفريع وتسفيه لأحلامهم ـ عما تنكره العقول من جعلهم لله ـ في زعمهم ـ ما يكرهون من الجنسين وهن الإناث ، ولهم ما يحبون منهما وهم الذكور، ويشتد التقريع بسؤالهم عن مصدر هذا التخريف، ومن أين لهم إن الملائكة إناث[1] ؟ فهل شهدوا خلق الله لهم وعرفوا جنسهم ؟ وهكذا يتدرج السياق في نقاشهم ويحاصرهم ليقررهم بمصدر هذا الفساد في المعتقد ، إنه إفكهم الصريح بأن هؤلاء الملائكة مولودون لله ، وإنهم لكاذبون فيما يقولون .

وتعود الآيات إلى تقريعهم ، فكيف ـ بمنطقهم هم ـ يختار الله لنفسه البنات ويصطفيهم على البنين، ومنطق المشركين وعُفُهم ـ إن كان ثمة اصطفاء أو اختيار ـ يشهد بغير هذا ؟ فما بالهم يحكمون لله بما يكرهون من البنات ويختصون أنفسهم بما يحبون من البنين ؟ أما لهم عقول يتفكرون بها فيعرفون بطلان قولهم وفساده ؟

وإذ لا يملك هؤلاء دليلاً معتبراً أو حجة مكتوبة تصدق زعمهم فإن السياق يعرض عن خطابهم ويحكي مقولتهم الكاذبة على الله وزعمهم وجود قرابة بينه وبين الجنَّة، والحال أن الجنَّة تبرأت من كذبهم وزعمهم، وتعلم أنهم ـ وأمثالهم ـ محضرون للعذاب يوم القيامة ، تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، وتعالى عما يصفه به الظالمون علواً كبيراً ، أما عباد الله المخلَصون المتبعون للحق، فهم بريئون من وصف الله بشيء من ذلك ، وبعيدون عن الحضور للعذاب كما يحضر هؤلاء.

ثم تعود الآيات إلى خطابهم لتؤكد أنهم والذين يعبدون من دون الله ، ليسوا بقادرين على فتنة أحد

---

(١) كان المشركون يؤثرون الذكور على الإناث ويعدونهن أدنى منزلة : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨]، كما كانوا يزعمون أنثوية الملائكة : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] ، وعن مجاهد قال : قال المشركون : الملائكة بنات الله ، قال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهن؟ قالوا بنات سروات الجن: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٣.

أو حمله على الكفر والضلال، وإنما ينقاد لمقالتهم وباطلهم من سبق في حكم الله أنهم من أهل النار الذين يَصْلونها لا محالة، أما الملائكة الذين ادَّعَى المشركون أنهم بنات الله ، فتتبرأ من قول هؤلاء وتقر بعبوديتها لله، وأن لكل منهم مقاماً في العبادة وحدّاً لا تتجاوزه ، وإنها لتقف صفوفاً في طاعتها لله وصلاتها له، فكيف يُعْبَدُ من هذا حاله أو يُشْرَكُ مع الله في ألوهيته؟

ويختم هذا المقطع بمواجهة المشركين بعهودهم التي تنكروا لها، وقد كانوا قبل البعثة يحسدون أهل الكتاب ، ويقولون : لو جاءنا مثل ما جاءهم من الذكر ، أو كان عندنا من يُذَكِّـرُنَا بأمر الله ونهيه وما كان من شأن القرون الأولى ـ لكنا أكثر إيماناً وإخلاصاً في عبادة الله ، فلما جاءهم الذكر والكتاب المهيمن على الكتب السابقة ، تنكروا لعهودهم وكفروا فاستحقوا وعيد الله وإياهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة كفرهم وخلفهم لعهودهم ، وهو ما ذكره الله في قوله تعالى ﴿ .. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٧].

من فوائد الآيات :

١- مشروعية التنزل مع الخصوم ونقاشهم ، ومجادلتهم بمنطقهم لإقامة الحجة عليهم .

٢- فساد مزاعم المشركين حول الملائكة ؛ إذ لا أساس لذلك إلا الإفك المحض والكذب الصراح .

٣- ظلم المشركين وجورهم إذ جعلوا لله ـ في زعمهم ـ ما يكرهون من البنات ، ولهم ما يحبون من البنين .

٤- تنزه الله وتقدسه عن أن يكون له ولد إذا لم تكن له صاحبة ، فهو واحد أحد، فرد صمد .

٥- لم يشهد أيّ من خلق الله أو يطلع على عملية الخلق حتى تصح شهادته ، قال تعالى :

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف : ٥١] ،

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

٦- قصور قدرة المشركين ومعبوداتهم عن فتنة الناس ،أو حملهم على الضلال والكفر .

٧- انخراط الملائكة في مقام العبودية لله لا يخرجون عناه ولا يفترون ، ومن كان عابداً لا يصح كونه معبوداً .

٨- كذب المشركين وتنكرهم لعهودهم قبل البعثة، واستحقاقهم وعيد الله جزاء كفرهم وخلقهم لعهودهم.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « شاهدون ، أصطفى ، الجنَّة ، نسياً ، فاتنين ، صال الجحيم » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما الأسس المهمة التي انبنى عليها فساد مزاعم المشركين حول الملائكة ؟ ولم كانت قسمتهم الذكور والإناث وبين الله خطأً في الرأي ؟ من أيّ الآيات ننبسط ذلك ؟

٣- ما مدى تأثير الكفار في غيرهم ؟ وكيف نفسر انقياد كثير من الناس لهم ؟ وما الحكمة في تهديد الله المشركين في نهاية المقطع؟

٤- ما منزلة الملائكة عند الله ؟ وماذا نفيد من هذه المنزلة ؟ وما المراد (بالذِّكْر والْأُوَلِين) الواردين في هذا المقطع ؟

٥- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع؟ مع شرح واحدة منها .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

(سورة الصافات).

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
كلمتنا	: وعْدُنا والمراد ما فسرت به بعد ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .
جندنا	: جند الله هم حزبه من رسله عليهم السلام وأتباعهم .
فتولّ	: فعل أمر من التولي وهو الإعراض ، يعني أعرض عن المشركين واصبر على أذاهم .
حتى حين	: أي إلى مدة محدودة .

أبصرهم : أنظرهم ، وارتقب ما يحل بهم ، وبَصِّرهم عاقبة ما هم فيه ، وقد كرر الأمر بالتولي والإبصار بعدُ لتأكيد الوعيد [1] .

ساحتـــهم : الساحة المكان الواسع ، والمراد بها محل إقامتهم .

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بتهديد المشركين بإنزال العذاب بهم، ويأتي هذا المقطع مؤكداً وعد الله بنصر رسله وأوليائه، وهو الوعد الذي رأينا صوراً منه في هذه السورة، وورد ذكره في سور أخرى [2]، وهو أن عباد الله المرسلين وأتباعهم من المؤمنين الذين هم جند الله وحزبه هم المنصورون على أعدائهم والغالبون لهم إما بالسيف والسنان ، وإما بالحجة والبرهان [3].

ومع هذا الوعد القاطع بنصرة جند الله ، يجيء أمر الله لرسوله ﷺ بالإعراض عن المشركين إلى مدة معلومة ، وارتقاب ما سوف يحل بهم ، وحينئذ فحسب سيبصرون ما أوعدوا به واستعجلوه من عذاب الله ، ويا ويلهم يوم ينزل بدارهم ، ويا لسوء صباح يومهم وقد أنذروا به فلم يحفلوا بالإنذار ، ويؤكد الله أمره السابق لرسوله ﷺ بالإعراض عن المشركين، وترقب ما يحل بهم كيما يواسيه ويسليه حتى يأذن الله بإنزال هلاكه بهم .

ويجيء ختام السورة بهذه الخاتمة المناسبة لموضوعها ، والجامعة لتنزيه الله واختصاصه بالعزة ، والسلام من الله والمؤمنين على رسله [4] ، وإعلان الحمد له وحده ، وهذه الخاتمة أدب

---

(١) وقيل : إن الجملة الأولى مراد عذابهم في الدنيا ، والثانية مراد بها عذابهم في الآخرة فهي من باب التأسيس ، وقد حذف مفعول أبصر في الثانية للدلالة عليه في الأولى ، أو لقصد التعميم فيه للإيذان بأن ما يبصره من عذابهم لا يحيط به الوصف ، فتح القدير ٤/ ٤١٦.

(٢) من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [غافر : ٥١] ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم :٤٧]. .

(٣) ولا ينافي هذا انهزام المسلمين في بعض المواطن ، فما زال وعد الله واقعاً ، وقد يتأخر انتصار المسلمين أو يأتي في صور غير التي يرغبونها، ولكنه محقق حين يشاء الله ، وفي الصورة التي يريدها ، وغير خفيّ أن الوعد بالنصر هو للمسلمين حقاً الحاكمين بالكتاب والعاملين بالسنة ، كما تفيده الإضافة في قوله : « جندنا » ؛ وعلى المسلمين أن ينظروا مواقعهم من هؤلاء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

(٤) في الأثر عن أبي طلحة] عن رسول الله ﷺ : « إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين » تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥.

رباني ، وتعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك ويتحلوا به في ختام أعمالهم وانفضاض مجالسهم ، روي عن عليّ] : (من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » [1]) .

من فوائد الآيات :

١- نصرة الله لعباده المؤمنين حق عليه وسنة لا تتخلف ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الفتح : ٢٣].

٢- تسلية الله لرسوله ﷺ وتوجيهه له بإمهال المشركين، وارتقاب عذابهم الواقع بهم لا محالة.

٣- تحقق نصر الله لرسله وتأكده بانتشار عقيدتهم في الناس حتى يوم الدين بقوة الله وعزته.

٤- اختتام السورة بخاتمة جامعة لمعانيها مع ما فيها من أدب رباني نحو الله عز وجل ورسله عليهم السلام.

٥- تنزه الله عن صور الشرك كلها، وانتفاء أن يكون له ولد أو صاحبة أو قرين.

٦- وحدانية الله وثبوت جلائل الصفات له التي تجمعها صفتا الربوبية والعزة.

(١) معالم التنزيل للبغوي ٦/ ٤٠ بهامش تفسير الخازن.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « كلمتنا ، جندنا ، تولّ ، أبصرهم ، ساحتهم ».

٢- ما موضوع هذا المقطع القرآني ؟ وما الآيات القرآنية الأخرى التي أشارت إلى هذا الموضوع ؟

٣- (أكدت الآيات علية عباد الله وجنده) فكيف نفهم ما وقع لهم من هزائم سجلها تاريخهم؟

٤- علام يدل استعجال المشركين العذاب؟ وكيف كان الرد عليهم ؟ وما الحكمة في تكرار الأمر بالإعراض عنهم وإبصارهم ؟

٥- ماذا حوت خاتمة السورة من معانٍ تتعلق بالله جل وعلا ورسله عليهم السلام ؟

٦- اذكري ثلاث فوائد عرفتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

الفصل الدراسي الثاني

بين يـدي الســورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بالاسم (ص) وقد وردت هذه التسمية على لسان ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث التالي عنه :

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة (ص) بعد سورة القمر، وتأتي في المرتبة الثامنة والثلاثين من حيث نزول سور القرآن الكريم ، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة نفسها (الثامنة والثلاثين) .

وقد نقل القرطبي قول الجميع بمكيتها لا يُعلم في ذلك مخالف، ويدل عليه ما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة (ص) بمكة [١] ، وكذلك ما يأتي في سبب نزول صدورها ، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية [٢].

(ج) أهم موضوعات السورة :

تعرض هذه السورة لكثير من موضوعات العقيدة التي تعرض لها السورة المكية ومنها :

١- التوحيد،والوحي لمحمدﷺ،والحساب في الآخرة وهي الموضوعات التي أجملتها السورة في مقطعها الأول ويأتي تفصيل لكثير من جوانبها في المقاطع التالية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٤٢ ، فتح القدير ٤/ ٤١٨ .

(٢) فيما عده الكوفيون، وست وثمانون عند غيرهم، راجعي غيث النفع ص ٣٣٦، التبصرة ص ٤٨٥ .

٢- قصص لبعض الأنبياء وما فيها من أفضال الله ورحماته التي تمتلئ بها خزائنه جلا وعلا.

٣- دعوة الرسول ﷺ للتأسي بالأنبياء قبله ، والتطلع لفضل الله، والتزود بالصبر على ما يلقاه من المشركين .

٤- تفصيل لمشهدين من اليوم الآخر يصوران نتيجة الحساب في الآخرة ، الذي أنكره المشركون، وما يعطاه المتقون من نعيم، والمكذبون من عذاب وجحيم.

٥- مناقشة المشركين في قضية الوحي، والاستدلال لها من قصة آدم عليه السلام وحسد إبليس له، وتلك الأحداث التي لم يشهدها محمد ولا غيره، ولا علم له بها إلا من الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤
أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨
أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم
مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠
جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ
نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٖ ۝١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦ ﴾

(سورة ص) .

أسباب النـــــــــــزول :

أخرج الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ والترمذي والواحدي من طرق مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل ، فقالوا : ابن أخيك يشتم آلهتنا يقول ويقول ، ويفعل ويفعل فأرسل إليه فانهه، قال : فأرسل إليه أبو طالب ، وكان قرب أبي طالب موضع رجل ، فخشي إن دخل النبي ﷺ على عمه أن يكون أرق له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس [1] ، فلما دخل النبي ﷺ لم يجد مجلساً إلا عند الباب فجلس، فقال أبو طالب يا ابن أخي إن قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ، وتفعل وتفعل فقال : يا عم، إنا أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بهم العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ، قالوا : وما هي نعم وأبيك عشراً ، قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون : أجعل الآلهة واحداً إن هذا لشيء عجاب ، قال : ونزل ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ وفي رواية حتى بلغ ﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾[2] ، وفي رواية أخرى حتى قوله ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾[3] ».

مـعـــاني الـــمـــفـردات :

الـكـلـمــــة	مـــعـــــنــــــــاهــــــا
صٓ	: هذا الحرف من الحروف المقطعة في أوائل السور وذكر هنا للإشارة إلى أن القرآن الكريم مصوغ من جنسه الميسر للعرب ، وقيل : هو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وأمرنا بالإيمان به وتفويض علمه إلى الله .

(١) أي أبو جهل ـ انظري الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٨ .

(٢) الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٨-٢٥٩ ، سنن الترمذي ٥/ ٤٤ ، أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٥.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٧.

والقرآن : الواو للقسم والقرآن مقسم به للدلالة على شرف قدره وعلوه ، وجواب القسم محذوف ، تقديره : ما أمر محمد والقرآن على ما يزعم الكفار.

ذي الـذكـــــــــر : أي الشرف ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤] ، ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾ [الأنبياء:١٠] [1] .

الذين كفروا : كفار قريش ، ورؤساؤها المطاعون فيها .

عزة : استكبار وتجبر، والمراد : استعلاؤهم بالباطل، واستكبارهم عن الحق.

شقاق : مخالفة الرسول ﷺ ومعاندته، كقولهم : فلان في شِق غير شِق صاحبه.

فنادوا : استغاثوا حين نزل بهم العذاب.

ولات حين مناص : المناص الفوت والتأخر ، والمقصود ليس هذا وقت غوثهم.

عجاب : بالغ في العجب إلى حد بعيد.

الملأ : الذين يملؤن العين والقلب كـقادة القـوم وكـبرائهم.

امشوا : المشي نقل الأقـدام عن المكن ، والمقصود اتركـوا وامضوا عنه.

يراد : أي يريده محمد ويقصد منه الشرف والاستعلاء على قومه.

الملة الآخرة : ما أدركـه العرب من الديانات المنحرفـة عن التوحيد ، كتثليث النصارى ، وبنوة العـزيز في اليهوديـة.

اختلاف : كذب لا أساس له ، افتعله محمد من عند نفسه.

فليرتقوا : فليصعدوا إلى أبواب السماء وطرقها

---

(١) ويجوز أن يكون معناه الذي فيه بيان كل شيء ، كقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل : ٨٩] ، ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة :١٨٥] ، وقد يكون المذكر بالله أو المذكور المشهور ، ولا تعارض أو تنافي بينها.

الأسباب : جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى المطلوب، والمراد المعارج والطرق الموصلة إلى أبواب السماء.

جند ما : أي أعوان وأنصار كثير، ولكنهم جمع مختلف وكثرة متناكرة.

مهزوم : مغلوب منكسر ، أصله من الهزم وهو غمر الشيء بالماء وتغطيته حتى يختفي.

الأحزاب : جمع حزب والمراد : الجموع المجتمعة للخلاص من محمد ﷺ ودعوته.

عاد : هم قوم هود الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية .

فرعون : من الفرعنة وهي العتو والتجبر وهو اسم لملك مصر الذي عاصره موسى، أو هو لقب من ملكها مثل كسرى فارس وقيصر الروم.

ذو الأوتـــاد : صاحب البنايات التي تقوم في الأرض كالأوتاد ، أو الجنود التي تحمي الملك وتـثـبـتـه.

ثمود : قـوم صالح الذين أهلكهم الله بصيحة جعلتهم كـهشيم المحتـظر.

أصحاب الأيكة : الأيكـة الشجر الملتف بعضه على بعض ، وأصحابها قوم شعيب ، الذين أهلكوا بعذاب الظلة .

أولئك الأحـــزاب : المقصود الأشد قوة والأكثر منعة.

ينظر هؤلاء : ينتظرون كقوله تعالى : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] ، والمراد بهؤلاء الكفار المعاصرون للنبي ﷺ .

صيحة واحدة : هي النفخة الأولى عند قيـام لساعة [١].

فَوَاق : الزمن بين حلبتـي الناقـة ، والمراد أن عذابهم إذا جاء لا يُـرَدّ.

قِطَّنا : القط الحظ والنصيب، والمراد ما يستحقونه في الآخرة طلبوا تعجيله في الدنيا.

---

(١) وقيل : إنها النفخة الثانية عند البعث ، والمراد بهؤلاء كفار الأمم المذكورة ، وقيل : إنها عذاب يفجأ المشركين في الدنيا.

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ هذه السورة وتفتتح بهذا الحرف (ص~) الذي يتألف منه ومن غيره القرآن الكريم ، ثم يقسم الله بهذا القرآن الشريف، الذي فيه العز والشرف والهدى والنفع على صدق محمد فيما جاء به قومه من هذا الدين وعقائده.

وإذا كان الكفار ـ في حقيقتهم ـ يعلمون ذلك كله ، فإن سياق الآيات يضرب عنه، ليبين لنا سبب كفرهم ، إنه استكبارهم عن اتباع الحق ومشاقتهم هذا القرآن العظيم ، ومِنْ ثَمَّ يخوفهم القرآن بما وقع للأمم المكذبة من قبلهم، التي كانت أمنع من هؤلاء ، وأشد قوة ، وشاقَّت رسلها مثل مشاقَّتهم ، ويحمل السياق هلاك هؤلاء الذي لم يمنعه عنهم استعطافهم واستغاثتهم ؛ إذ قد فات أوان ذلك ولا منجى لهم من عذاب الله وإهلاكه إياهم، فلينظر هؤلاء عاقبتهم ، ويتعظوا بما وقع لغيرهم.

ولكن هؤلاء المشركين لم ينظروا ولم يتعظوا ، ودفعتهم العزة والشقاق إلى الهاوية والهلاك، فهم يعجبون أشد العجب أن يأتيهم رسول منهم بشر مثلهم ، ينذرهم العذاب إن استمروا على الكفر ، ورموه بالسحر والكذب تهويشاً منهم على الحق الواضح في حديثه ، وتنفيرًا للناس منه ومن الصدق المعروف عنه.

ويستعرض سياق الآيات وجوه شبهتهم في تكذيب الرسول ، فهم يستنكرون أن يصرفهم محمد ﷺ عن آلهتهم المتعددة إلى إله واحد يختصونه بعبادتهم ، فهذا ـ في نظرهم ـ غاية العجب والدهشة ، بل ينطلق كبراؤهم في القوم يوصونهم بالثبات على شركهم والصبر على عيب محمد آلهتهم ؛ إذ إن ما يأتيهم به يريد به شيئاً آخر وراء دعوته.

ويموه الكبراء على الناس ويغشونهم عندما يردون قضية التوحيد كلها إلى ظواهر الملل الباقية، التي انحرفت عن التوحيد الخالص، وعلى هذا فليس قول محمد ﷺ عن التوحيد إلا اختلاقاً وكذباً لا سند له من عقل أو دين.

وهنا يستنفذ الكبراء مظاهر الشقاق والمخالفة ، وينكشف المخبوء لديهم ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ ؟ ولقد كانوا يطمعون أن ينزَّل الذكر على كبير أو شريف منهم كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] ، هكذا ، فالقضية عندهم قضية شخصية محضة بينهم وبين محمد ﷺ ، كأنهم يصدقون بهذا الذكر والوحي.

ويضرب السياق عن طمعهم وحسدهم، ويرد على تساؤلهم مسجلاً عليهم شكهم في هذا الذكر وعدم تصديقهم به، ثم يضرب السياق مرة أخرى عن شكهم في الذكر ليكشف لنا سبب ذلك، إنهم لم يذوقوا العذاب بعد، فأما حين يذوقون العذاب فلن يقولوا من هذا شيئاً، وسيعرفون أنه الحق الذي فاتهم أوان التصديق به.

ويناقش السياق استكثارهم النبوة على محمد ﷺ فيسائلهم متهكماً بهم وبسوء أدبهم مع الله إن كانوا يملكون خزائن رحمة الله حتى يحق لهم منح هذا ومنع ذاك ؟ أم أن هذا المنح والمنع من حق الله العزيز الغالب والوهاب الكريم الذي يعلم حيث يجعل رسالته [1] ؟، وإذ لا يملكون ذلك فهل يملكون السماوات والأرض وما بينهما ، حتى يعترضوا على اصطفاء الله لمن يشاء؟ إن كان الأمر كذلك ـ وهو غير كائن ـ فليصعدوا إلى السماوات العليا ليدبروا أمر هذا الكون، ولكن أنىَّ لهم ذلك ، وهم كـمٌّ مهمل لا شأن لهم فيما يجري في ملك الله ، بل هم جمع مختلف ، وجند متناكر عاقبتهم الهزيمة والاندحار، كما حكى الله عنهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٤-٤٦].

ويضرب الله الأمثال لكفار قريش من الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم ، واستكبروا استكبارهم وكانوا هم الأحزاب الأقوياء حقاً ، ولكنهم حقت عليهم كلمة الله [2] ، واستوجبوا عقابه وعذابه، أما

---

(١) قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ . . . ﴾ ؟ [الزخرف :٣٢] ، ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ . . . ﴾ [الإسراء : ١٠٠] .

(٢) وهؤلاء على ترتيب الآيات لهم قوم نوح ، وقوم عاد ، وفرعون وقومه ، وقوم صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب ، وقد اهلكوا إما بالإغراق أو الريح الصرصر ، أو انطباق البحر عليهم ، أو الصيحة أو الرجم والخسف ، أو عذاب الظلة .

هؤلاء المشركين والكفار من أمة محمد ﷺ فمتروكون لمصيرهم السيئ الذي ينتظرونه عندما يأذن الله بانتهاء الدنيا وقيام الساعة، وما هي إلا صيحة واحدة لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون، وعندها سوف ينالون نصيبهم من العذاب الذي أنكروه في الدنيا وتعجلوه قبل موعده ، وهو الذي حكاه الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢].

من فوائد الآيات

١- وقوع الإقسام من الله بالقرآن تعظيماً له وتنويهاً بشرفه وجلاله ، ولله أن يقسم بما شاء أما العبد فلا يقسم إلا بأسماء الله وصفاته.

٢- إن إعراض المشركين عما أتاهم به محمد ﷺ كان كبراً وعناداً وظلماً وجحوداً :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

[الأنعام : ٣٣].

٣- أن شبهة المشركين في عدم الإيمان هي نفسها شبهة كفار الأمم السابقة (بشرية الرسول ، إتيانه لهم بما لا يعرفه آبائهم ، اختصاصه بالوحي دونهم).

٤- تولى كبراء قريش معارضة محمد ﷺ وتشنيعهم عليه وعلى دعوته ، لصرف الناس عنها وحماية مراكزهم.

٥- حسد المشركين لمحمد على اختياره للنبوة دونهم ، ولم يكن واحداً من كبرائهم أو عظيماً من قريتيهم.

٦- إن الله العزيز الوهاب هو الذي يمنح الخير لمن يصطفيهم من عباده ؛ لأن عنده خزائن رحمته وبيده مقاليد السماوات والأرض وما بينهما ، وهو ﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

[الأنعام : ١٢٤].

٧- إن كفار الأمم السابقة كذبوا رسلهم مثل تكذيبهم المشركين لمحمد ﷺ فعاجلهم الله بعقوبتهم في الدنيا ، أما مشركو هذه الأمة فعقابهم مؤجل ليوم الحساب.

٨- استعجال المشركين للعذاب واغترارهم بإمهال الله لهم ، ولو ذاقوا عذابه كغيرهم ما كان هذا قولهم.

٩- ضرب الأمثال بهلاك كفار الأمم السابقة ، للاتعاظ بهم وتجنب تكذيب الرسول ﷺ ، والتنكر للدين وأصوله.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « ص~ ، ذي الذكر ، عزة ، شقاق ، مناص ، الملأ، الملة الآخرة ، اختلاق ، فليرتقوا ، الأسباب ، الأحزاب ، الأيكة ، قواق ، قِطَّنا ».

٢- ما الموضوع الرئيس لهذا المقطع من سورة (ص)؟ وما سبب نزول صدر هذه السورة؟

٣- ما الحكمة من قسم الله بالقرآن الكريم هنا؟ وما جواب القسم ؟ وما سبب استكبار المشركين عن اتباع الحق ؟

٤- ما الحكمة من ذكر إهلاك الأمم السابقة ؟ وما المقصود بالنداء في قوله : (فنادوا) ؟ ولم لا ينفعهم هذا ؟

٥- وضحي ـ بإيجاز ـ وجوه شبهة المشركين في بعثة محمد ﷺ وكيفية الرد عليها .

٦- لماذا يتولى الأشراف والكبراء من القوم مقاومة دعوات الحق والخير؟ وما أسلحتهم في ذلك؟

٧- « كشفت الآيات عن السبب الحقيقي لعناد الكفار واستكبارهم » وضحي هذه العبارة في ضوء الآيات التي قررتها.

٨- كيف رد الله على المشركين استكثارهم النبوة على محمد ﷺ ؟ وبماذا وصف الله أحزابهم؟

٩- ما الحكمة في إهلاك مكذبي الأمم السابقة وإمهال المكذبين من أمة محمد ﷺ ؟

١٠- اذكري أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها.

قصة داود وفضل الله عليه

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧)
إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠) ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟
ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ (٢٣) قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
(٢٥) يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦) ﴾

(سورة ص) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
ما يقولون	: اسم الموصول المبهم مراد به أقوال المشركين وشبههم في المقطع السابق.
ذا الأيد	: صاحب القوة والجلد ، وصاحب السلطان والحكم ، وهو داود ابن إيشا الذي جمع الله له بين الملك والنبوة.
أواب	: كثير الرجوع إلى الله ، أصله من الأَوْب وهو الرجوع.
بالعشي والإشراق	: يعني في وقتي العشاء والضحى (آخر النهار وأوله).
محشورة	: مجموعة له ، وصافات في الهواء تسبح بتسبيحه.
وشددنا ملكه	: قويناه بكثرة جنوده ونفوذ كلمته ونصرته على أعدائه.
الحكمة	: العلم والفهم ، وإتقان العمل.
وفصل الخطاب	: حسن البيان والفصل في القضاء والخصومات.
هل أتاك	: الاستفهام للتعجيب والتشويق إلى سماع ما يّرد بعده.
نبأ الخصم	: النبأ الخبر المهم ، والخصم مصدر يقع على الواحد والجماعة ، والمراد المتقاضيان عند داود.
تسوروا المحراب	: المحراب الغرفة التي يتعبد فيها ، وتَسَوُّرُه إتيانه من أعلى سورة.
ففزع	: الفزع انقباض وخوف يعتري الإنسان فجأة من وقوع ما يخشى منه.
بغى	: اعتدى وظلم ، أصله من البغي ، وهو تعدي حد الشيء .
لا تشطط	: لا تُجر في الحكم ، أو تَمِل عن الحق.
سواء الصراط	: وسط الطريق ، والمراد : الحق والطريق السوي.

نعجة : هي الأنثى من الضأن والشياه.

أكفلنيها : انزل لي عنها ، واجعلها في كفالتي ونصيبي.

وعزني في الخطاب : غلبني في الحجاج، ولم استطع لحججه رداً أو دفعاً.

الخلطاء : الشركاء الذين يخالط بعضهم بعضاً في الممتلكات والمعاملات

وظن داود إنما فتناه : أي علم وأيقن أنا ابتليناه واستخدام الظن في معنى العلم واليقين كثير .

خـر راكـعـاً وأنـاب : في اللغة ، كقوله تعالى: ﴿ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٠]

لزلـفى وحسن مآب : هوى بالسجود ورجع إلى ربه.

الهوى : الزلفى القربى والكرامة والمآب المرجع إلى الله.
انفعال النفس وعدم التثبت قبل الحكم والقضاء

سبيل الله : طريق الحق والصراط المستقيم.

المعنى الإجمالي للآيات :

تجيء مقاطع السورة من هنا حتى نهايتها بتفصيل لكثير مما أجمل في صدرها ويبدأ هذا المقطع بتوجيه الرسول ﷺ إلى الصبر على ما سمعه ويسمعه من أقوال المشركين التي ذكرت من قبل ، وهو منهج الأنبياء عليهم السلام من قبله ، ومن هؤلاء عبد الله ونبيه داود عليه السلام ، صاحب القوة والسلطان اللذين سخرهما في طاعة الله وعبادته، فكان كثير الاستغفار والرجوع عما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه.

وتعدد الآيات بعضاً من أفضال الله على داود ومظاهر عبوديته لله ، حيث تشارك معه في عبادة الله وذكره جبال الأرض الجامدة وتمسي وتصبح مسبحة معه بحمد الله ، وتجتمع حشود الطير العجماوات ترجع ترتيله وتقديسه لله لتصنع هذه وتلك مع نبي الله حقيقة واحدة في العبودية لله .

وفوق هذه الأفضال العظيمة ، فقد قوى الله ملك داود وثبته بكثير جنوده وأتباعه، وسرعة نصرته على أعدائه ومن حاربه، وآتاه الله الفهم والعقل، والقطع في خصومات الناس، وإصابة وجه الحق والعدل في أحكامه.

ومع هذا الفضل الكبير لداود عليه السلام، فقد تعرض للفتنة والابتلاء ، التي يحكي قصتها هذا المقطع، وتبدأ واقعة الابتلاء عندما فوجئ داود عليه السلام ـ وهو يتعبد في غرفته ـ بمن يعتلي سورها ويقطع عليه خلوته، فأوجس خيفة في نفسه ولم يسترح لطريقة دخول الداخلين، ولكنهما أسرعا بطمأنته وإزالة خوفه، فأعلنا عن حالهما وشأنهما من التخاصم، وظلم أحدهما للآخر، وغرضهما في أن يحكم داود بينهما بالحق والعدل الذي عرف به، ولا يَجُر على أحدهما أو يمل للآخر في حكمه، بل يرشدهم إلى مقطع الحق الفاصل بينهما.

ويبادر أحد الخصمين بتفصيل الخصومة بقوله: إن هذا أخي في الدين ويملك تسعاً وتسعين شاة وأملك شاة واحدة، فأرادني على امتلاك هذه الواحدة وضمها إلى غنمه، وغلبني في الحجاج والمجادلة ، ويسرع داود بالحكم في الخصومة ـ قبل سماعه للمدعَّى عليه- مقرراً ظلم المدّعى بطلبه منه ضم هذه النعجة الواحدة إلى نعاجه لتكون في كفالته وحوزته، ويضيف داود عليه السلام مثل هذا الظلم ، يقع من كثير مِمَّن يتعاملون معاً وتختلط مصالحهم ، إلا من يخافون ربهم ويؤمنون به ، ويقومون بصالح الأعمال ، وما أقلَّ هؤلاء عدداً وأندرهم وجوداً.

وعندئذ ـ فحسب ـ تنبه داود وعلم أن ما جرى من الخصمين ، وقضاءه بينهما بهذه السرعة لم يكن إلا ابتلاء له اختباراً لتثبيته في القضاء وهنا أدركت داود طبيعته الأوابة ، فاستغفر ربه مما ألم به ، ووقع ساجداً لله وراجعاً إليه بالتوبة ، فغفر الله له ما وقع منه مما يعد من مثله ذنباً ؛ لأنه من المقربين إلى الله، وله عنده من الكرامة وحسن المرجع ما أعده الله للمقربين.

وينتهي هذا المقطع بإخبار داود باستخلافه في الأرض على عباد الله ، ليقيم فيهم حكم الله وشرعه، ومن ثم يوصيه الله ويأمره ـ ومَن خلفه مِن الحكام والقضاة ـ أن يلزم الحق والعدل ، وألا ينساق وراء الأهواء الذاتية والأغراض الشخصية ، التي تنحرف بحكمه عن طريق الحق ؛ وإن من كان هذا شأنهم

في ترك الحق ، والضلال عن سبيله لهم من الله العذاب الشديد يوم الحساب ، لنسيانهم هذا اليوم الذي يحاسَب فيه الناس ، ويُقضَي بينهم بالحق ، قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

من فوائد الآيات :

١- إن الصبر عدة الداعي وأمضى وسائله، وقد كان طريق الأنبياء عليهم السلام ، « وما أُعطِي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر » [١] .

٢- تسلية النبي ﷺ ومواساته على ما لقي من أذى قومه وعنادهم وتكبرهم عن إتباع الحق.

٣- علو مقام عبودية داود لله وقوته في طاعته فقد كان كثير التوبة والذكر، وعبادته أحب العبادة إلى الله .

٤- فضل الله الكبير على داود والذي منه قوة الملك مع العقل، والحكمة ، والنبوة ومقام القربى من الله ، وكلها رد على المشركين في استكثارهم على محمد ﷺ .

٥- تسبيح المخلوقات وتقديسها لخالقها : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤].

٦- حصول الابتلاء ، والامتحان لداود عليه السلام كما حصل لغيره من الأنبياء والمرسلين.

٧- إن دستور الحكم والقضاء بين الناس قيامه على الحق المنزل من عند الله وتجرده عن الهوى المضِلّ عن سبيله.

٨- وعيد الله لمن يؤثر الهوى في حكمه ويحيد عن الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم من وراية أبي سعيد الخدري ، وقد أخرجه كذلك من رواية صهيب عن رسول الله ﷺ قال : « وعجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » صحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل الصبر ٣/ ٧٢٩، كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير.

-٩ عند قوله تعالى : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ سجدة سجدها ﷺ كما سجدها داود عليه السلام ، والراجح أنها سجدة شكر[١].

المناقشة

-١ وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « الأيد ، أواب ، محشورة ، لا تشطط ، وعزني، لزلفى » .

-٢ ما موضوع هذا المقطع ؟ وما العلاقة بينه وبين سابقه ؟ وضحي ـ ما أمكنكِ ـ جوانب هذه العلاقة ؟

-٣ بماذا وجه الله رسوله ﷺ في بداية هذا المقطع ؟ ولماذا كان التوجيه بهذين هنا ؟

-٤ اذكري ما تعرفينه من فضائل الله على عبده داود عليه السلام ؟ وما الذي اختص به من هذا الفضل ؟

-٥ ما الفتنة التي ابتُلي بها داود عليه السلام ؟ ومن أيّ شيء استغفر ربه ؟ دلِّلي على ما تقولين ؟

-٦ لماذا فزع داود من دخول الخصمين عليه ؟ وكيف زال خوفه وفرعه منهما ؟

-٧ ما الذي أرشدت إليه الآيات من أصول التقاضي وقواعد الفصل في الخصومات؟

-٨ اذكري أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع القرآني ، مع شرح واحدة منها .

(١) انظري صحيح البخاري مع الفتح ٢/ ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٨/ ٥٤٤ .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَآبٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة ص) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
باطلاً	: لعباً وعبثاً كما قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .
الفُجَّار	: جمع فاجر ، وهو الفاسق المائل عن الحق في توحيد الله وطاعته.
مبارك	: كثير الخير والبركة .
ليدبروا	: ليتفكروا ويتأملوا .
وليتذكر أولوا الألباب	: ليتعظ أصحاب العقول .
سليمان	: هو ابن داود ، وقد ورث من أبيه الملك والنبوة ، كما آتاه الله من كل شيء .
الصافنات	: جمع صافن ، وهو من الخيل التي تقف على ثلاث قوائم وطرف حافر اليد الرابعة .
الجياد	: جمع جَواد ، وهو من الخيل السريع العَدْو ، كما يقال : جَوادٌ للسريع البذل والعطاء من الناس .
الخير	: الخير معروف ، والمراد به هنا الخيل ، وفي الحديث « الخيل معقود في نواصيها الخير » [1] ، فكأنها سميت خيراً لهذا.
توارت بالحجاب	: أي الشمس اختفت بحجاب الليل ، يدل على ذلك مقام الكلام وذكر لفظ (العشي) في الآية .

(١) أخرجه مسلم عن عروة البارقي ـ كتاب الإمارة ، باب الخيل في نواصيها الخير ، الصحيح ٣/ ١٤٩٣ .

طفق مسحاً بالسوق والأعناق : عقرها ونحرها لمَّا شغلته عن طاعة الله من باب تأديبه لنفسه، وتصدق بلحمها.

فتنا سليمان : ابتليناه واختبرناه في شأن من شؤونه يعلمه الله .

جسداً : الجسد : جسم الإنسان وغيره من ذوي الحياة والمراد به : شيطان جلس على كرسي سليمان في صورته.

رخاء حيث أصاب : أي لينة الهبوب تجري بأمره حيث قصد وأراد [1] .

مقرنين في الأصفاد : مربوطين في الأغلال والأكبال.

لزلفى وحسن مآب : الزلفى القربى والكرامة ، والمآب المرجع والمصير.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق بدعوة داود عليه السلام بالتزام الحق في القضاء ، ويبدأ هذا المقطع بإبراز قيمة الحق وقيام الأكوان عليها ، حيث ينفي الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون خلقه السماوات والأرض وما بينهما عبثاً لا قصد منه ولا حساب وراءه ، كما هو ظن الذين كفروا بربهم ، واعتقدوا ألا قيامة بعد هذه الحياة ، ويا ويل هؤلاء الكفار حينئذ من النار التي أعدت لهم جزاء اعتقادهم الفاسد ، وإنكارهم لليوم الذي تجازى فيه كل نفس بما كسبت ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨].

وهنا يبين السياق أن مقتضى الحق أن يحاسب الناس في اليوم الآخر بالحق ، فلا يكون الذين آمنوا بربهم وأفردوه بالعبادة وأصلحوا أعمالهم ، كمن كفروا بالله وأفسدوا في الأرض ، لا دين يمنعهم

(١) لا ينافي رخاوتها هنا وذهابها حيث يريد ما في قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨١] ، لأنها تكون تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان، راجعي أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٦٧٧ .

ولا زاجر يردعهم ، كما لا يكون قَـدْرُ المتقين والمحسنين من الأولين ، كقَـدْرِ الفسـاق والفجرة من الآخرين ، شتان بين هؤلاء وأولئك.

وإذا كان هذا الأمر مقررًا في الفطر السليمة والعقول الصحيحة ، فإن هذا عين ما يقرره القرآن الكريم ، الذي أنزله الله هادياً للناس إلى ما فيه نفعهم وخيرهم ، وليتفكروا في هديه وما يقرره من الحق والعدل ، وهو ما ينبغي أن يتدبره المتدبرون ، ويتعظ به ذوو الألباب والعقول .

ويستأنف سياق الآيات ـ بعد إبراز هذا الحق الذي أُمِر به داود ـ عرض نعم الله عليه التي تتجلى هنا في عقبه وولده سليمان ، الذي كان على منهج أبيه في مقام العبودية والرجوع إلى الله كثيراً بالتوبة والاستغفار ، وتذكر الآيات حالاً من مقاماته في الطاعة والعبودية ، وهو حبـه المفـرط لحب الخيل المرابطة في سبيل الله ، حيث استـعرضها آخر النهار ، ليتفحص أحوالها ، ويطمئن إلى صلاحيتها لمهامها في الغزو.

وحيث اطمأن إليها وهي واقفة ساكنة في صفون واطمئنان ، علل اهتمامه بها وحبه لحبها ، بأن ذلك عن أمر الله وذكره ، وليس عن شهوة دنيوية أو هوى شخصي ، وعندما شغلته عن طاعة ربه بتأخير صلاة العصر عن وقتها أمر أتباعه القائمين على أمر الخيل أن يرجعوها إليه فلما أعادوها ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف.

وكما فتن الله داود وابتلاه بالخصمين ، فتن ولده سليمان وابتلاه بما شاء وعلم ، من القاء الجسد على كرسيه ، وما لبث سليمان أن رجع إلى ربه طالباً المغفرة على ما فرط منه ، وأن يهبه الله مع النبوة ملكاً مخصوصاً متميزاً عن كل ملك ، ولا يكون معهوداً فيما يعرفه الناس من الملك ؛ إذ ليس ذلك ببعيد على الله الوهاب والعطاء.

ويستجيب الله لطلب سليمان فيذلل لطاعته الريح تجري لينة طيعة، ومع قوتها وعصفها لا تحيد عن جهة يوجهها إليها ، ولا شك أن هذا النوع من إنفاذ إرادة الله بتوجيه إرادة عبده ونبيه إلى ما يريده الله ، على نحو ما يقول الله :

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾ [التوبة : ١٤] ،

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾

[الأحزاب :٦٠] ،

كما يذلل لأمره الشياطين فمنها من تبني له : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ : ١٣] ، وغير ذلك من الحصون والقصور والعمائر والجسور ، ومنها من تغوص له في البحار تجلب الدر والأصداف ، واللؤلؤ والمرجان ، ومنها من يسيء في عمله ويفسده ، أو يتمرد عن العمل فيعاقب بقيده في السلاسل والأغلال.

ويتم الله ـ سبحانه وتعالى ـ عطاءه الدنيوي لنبيه سليمان عليه السلام بإعلانه أنه مطلق اليد فيما وُهِبَ من سلطة ومن نعمة يعطي من يشاء كيف يشاء ، ويمسك عمن يشاء قدر ما يشاء دون رقيب ولا حسيب ، ثم زاد في إكرامه إياه بتأكيد ما له عند الله من الكرامة والقربى وحسن المرجع في الآخرة، وغير ذلك مما هو خير وأبقى من ملك الدنيا ونعيمها.

من فوائد الآيات :

١- قيام الخلق والأكوان في الدنيا على الحق ، ثم حساب الخلق في الآخرة بالعدل والحق.

٢- اختلاف جزاء المؤمنين المصلحين في أعمالهم عن جزاء المفسدين ، وتميز المتقين البررة عن الفساق والفجرة.

٣- اقتفاء سليمان منهج أبيه في عبوديته لله ، والرجوع إليه بالتوبة والاستغفار مما استحق مدح الله له.

٤- استجابة الله لسليمان في هبته ملكاً متميزاً لم يهبه لأحد من بعده ، فسخر له الريح تجري بأمره حيث أراد، وذلل له الشياطين تعمل ما يشاء من الحرف والصناعات.

٥- أن من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه فسليمان ـ عليه السلام ـ لما عقر الخيل التي شغلته عن ذكر ربه عوضه الله عنها الريح التي تجري بأمره تحمله كما ذكر ذلك المفسرون.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « باطلاً ، الفجار ، الصافنات ، توارت ، طفق ، رخاء ، مقرنين » .

٢- ما موضوع هذا المقطع القرآني؟ وما علاقة خلق السماء والأرض وما بينهما بقصة داود في المقطع السابق؟

٣- ما ظن الذين كفروا المشار إليه في المقطع ؟ وكيف تقيمين الدليل على قيام الكون في الدنيا والحساب في الآخرة على الحق والعدل ؟

٤- عَرَضَت الآيات لمقام محمود من عبودية سليمان، وضحي هذا المقام كما فهمته من الآيات.

٥- ما الفتنة التي تعرض لها سليمان عليه السلام؟

٦- ما مظاهر هبة سليمان ملكاً متميزاً ؟ وما معنى جريان الريح بأمر سليمان وهي لا تجري إلا بأمر الله ؟

٧- (نوهت الآيات بعطاء الله لسليمان وإطلاق حريته وتصرفه فيما أُعْطِي) اشرحي هذه العبارة.

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها.

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

(سورة ص) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
نادى ربه	: دعاه واستغاث به، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء : ٨٤].

مسني الشيطان : المس كاللمس كلاهما مباشرة الجلد ، والمراد ما وقع لأيوب من الأذى والضر[1].

بنُصْب : النُّصْب والنَصَب التعب والإعياء من مجاهدة مرض جسمي ونحوه .

عذاب : ألم يضر البدن كما جاء في قوله تعالى : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣].

اركض : الركض دفع الشيء وتحريكه بالقدم.

مُغتسَل ، وشراب : الماء الذي يغتسل به ويشرب منه.

ضِغثاً : الضغث عثكال النخل بشماريخه ، أو الحزمة من أعواد نباتات مختلطة.

تَحْنَث : من الحنث وهو الإثم ، ويطلق على فعل شيء حُلفِ على تركه أو ترك شيء حُلِف على فعله.

أولي الأيدي : أصحاب القوة في طاعة الله وعبادته ، وقيل : أصحاب النعم.

والأبصار : جمع بصر ، والمراد البصيرة النافذة والفقه في الدين.

أخلصناهم بخالصة : جعلناهم خالصين لغرض واحد لا يخلطونه بغيره.

ذكرى الدار : أي تذكرهم الدائم للدار الآخرة ، وعملهم الدائب لها.

المصطَفَينَ : جمع مصطفى من الاصطفاء وهو الاختيار.

الأخيار : جمع خيّر وهو المطبوع على فعل الخير، لا يركن إلى غيره.

---

(١) أسند أيوب ـ عليه السلام ـ مصابه إلى الشيطان مراعاة للأدب مع الله .

اليسع وذا الكفل : اليسع أحد أنبياء بني إسرائيل وهو صاحب إلياس ، أما ذا الكفل فهو صاحب اليسع وخليفته وأحد صلحاء بني إسرائيل [1] .

المعنى الإجمالي للآيات :

يختتم سياق الآيات في هذه السورة قصص الابتلاء لدى الأنبياء بقصة أيوب عليه السلام المبتلَى بفقد أهله وماله وذهاب صحته، حيث يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بذكر هذا النبي الصابر ، والاعتبار بما جرى له حين دعا ربه أن قد أصابه الضرر والألم[2] ، وزاد من شره وألمه وسوسة الشيطان لأهله وأحبابه وزوجه، مما أغضبه على زوجه وحلف ليضربنها، ولكنه وهو الصابر الأواب ، ظل على صلته بربه ورضاه بما قسم له، فأدركه الله برحمته حيث أمره أن يضرب الأرض برجله لتنفجر عين باردة من المياه اغتسل فيها وشرب منها ، فشفاه الله وأبرأه مما ألم به ظاهراً وباطناً.

وأتم الله نعمته على عبده واستكمل إجابة دعوته : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، فجمع له أهله وولده بعد أن أكثر الله نسلهم وذريتهم فصاروا مثلي ما كانوا قبل ابتلائه، وتتم بهبتهم له رحمة الله به ، وليكون ذلك عظة وذكرى لذوي العقول السليمة، الذين يدركون أن المرض والشفاء بيد الله ، وأنه الذي يكشف السوء، ويجيب المضطر إذا دعاه.

ثم يرشد الله نبيه إلى ما يحله من قسمه على ضرب زوجته ، فرخص الله له أن يأخذ مجموعة من العيدان قدر ما عدده في يمينه من ضربات ، ويضربها بهذه المجموعة مرة واحدة تجزئة عن يمينه، ولا

---

(١) سمى ذو الكفل بذلك لتكفله بشأن من وقع في ضائقة ، وقيل غير ذلك ، والجمهور على أنه ليس بنبي ، والظاهر أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو منهم ، راجعي تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ١٩٠ ، وفتح القدير ٢/ ١٣٧ ، ٣/ ٤٢٠ .

(٢) نُعرِضُ هنا عن كثير من الغرائب والأباطيل ، التي ذكرت حول مرض أيوب وقصة ابتلائه ، مما لا لزوم له في إثبات صبر أيوب عليه السلام ، ولمنافاة ذلك لعصمة الأنبياء ومناصبهم الرفيعة ؛ وينبغي للمسلم الاقتصار في ذلك على ما ورد بالقرآن الكريم من مسه الضر والأذى ، وحلفه على امرأته أثناء مرضه ، ثم كشف الله الضر عنه بعد تضرعه وتيسيره له بالفرج والمخرج من يمينه .

يخفى ما في هذا التيسير من الجزاء لأيوب عليه السلام والإنعام عليه ، لما كان له من الصبر العظيم على البلاء فاستحق مدح الله له والتنويه بمقامه في العبودية والصبر والرجوع إلى الله .

ويختتم هذا المقطع بالإشارة إلى مجموعة من الأنبياء يؤمر ﷺ بتذكرهم والتأسي بعبوديتهم الخالصة لله ومن هؤلاء إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام الذين أوتوا قوة في طاعة الله وعبادته، كما شرفوا بفقههم في الدين ونظرهم الصائب في أحكامه حتى صارت خصلتهم ـ التي يعرفون بها ـ تذكرهم الدائم لليوم الآخر وعملهم الدائب لدار الحق والجزاء، وبسبب هذه الخصلة الكريمة كانوا عنده من المختارين المجبولين على فعل الخير، والمترفعين عن فعل الشر.

ومن هؤلاء الأنبياء اسماعيل بن إبراهيم واليسع وذو الكفل عليهم السلام ، وقد كانوا ـ فوق ما عندهم من الصبر ـ من عباد الله الأخيار ، المطبوعين على فعل الخيرات والمترفعين عن الشرور والآثام.

وهكذا يتضح المقصود من هذه القصص والتعقيب به على ما لاقاه ﷺ من قومه ، فما كان في الدنيا أكثر نعمة وجاهاً من داود وسليمان عليهما السلام ، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب عليه السلام ، ولكن أحوال الدنيا لم تنتظم لأحد منهم فلتكن لرسول الله ﷺ فيهم جميعاً الأسوة في الصبر واحتمال المكاره ، حتى ينال رضا الله ، ويصيبه من فضله ورحمته مثل ما أصابهم.

من فوائد الآيات :

١- كان نداء أيوب لربه طلباً للشفاء والرحمة ، ولا ينافي هذا مقام صبره المحمود.

٢- مراعاة أيوب للأدب مع الله في دعائه ، حيث لم ينسب إليه الضر والعذاب، على نحو ما قال لإبراهيم : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠].

٣- جواز ضرب الرجال لزوجاتهم تأديباً لهن ، كما يجوز ذلك في نشوزهن.

٤- جواز تخفيف العقوبة إذا كان ذلك لمبرر شرعي كالمريض الذي لا يتحمل العقوبة الشديدة كما نص على ذلك الفقهاء في بابي الحدود ، والإيمان.

٥- ابتلاء الله الإنسان على قدر مقامه عند الله ودرجة إيمانه ، ولذا كان الأنبياء أعظم الناس ابتلاء .

٦- البر باليمين أفضل من الحنث فيه والكفارة عنه ما لم يكن في إثم ، وإلا كان الحنث والتكفير واجباً .

٧- أن فرج الله ويسره على عباده مرتبط بصبرهم وتقواهم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] ،

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٤] .

٨- لم تخل حياة نبي من موضع للعظة والاعتبار ، ومقام للتأسي والاقتداء ؛ إذ كانوا جميعاً صفوة الخلق وخيارهم المتجردين لعمل الخير لأولادهم وأخراهم ، فهذا ذكرهم لمن أراد أن يتذكر ، وتلك عبرهم لمن أراد أن يعتبر.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مسني ، نصب ، اركض ، ضغثاً ، تحنث ، الأبصار ، الأخيار » .

٢- ما موضوع هذا المقطع؟ وبماذا ابتلى الله نبيه أيوب عليه السلام ؟ وما المقصود بندائه ربه ؟

٣- وضحي قول أيوب في ندائه : (مسني الشيطان) في ضوء ما عرفت أن الله هو المبتلي ، ولا تسلُّطَ للشيطان على عباده المخلَصين .

٤- وضحي ما الذي يخرج به ذوو الألباب من تأملهم فيما حدث لأيوب عليه السلام من ابتلاء ورحمة وفضل .

٥- اشرحي كيف كشف الله كربة أيوب عليه السلام وشفاه مما ألَمَّ به ؟ وكيف أحلَّه مِمَّا ألزم نفسه به قبل شفائه ؟

٦- ما الصفة الخاصة التي عرف بها إبراهيم وابناه اسحاق ويعقوب عليهم السلام ؟ ولماذا خصهم الله بها ؟

٧- ماذا تعرفين عن اليسع وذي الكفل ؟ وما الغرض البارز من سياق قصص الأنبياء في سورة (ص) ؟

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً
لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾
هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ
الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن
شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ
إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ
لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ
الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾

(سورة ص) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
هذا ذكر	: الإشارة إلى الآيات السابقة الناطقة بمحاسن الأنبياء التي هي شرف لهم يذكرون به بين الناس ، واسم الإشارة يجيء في السياق هكذا للانتقال به من كلام إلى آخر .
مآب	: المآب المرجع والمصير ، والمراد جنات الله ونعيمها المذكوران بعد .
جناتِ عدن	: العدن في الأصل الإقامة ، أي جنات استقرار وإقامة دائمة .
متكئين	: قاعدين متمكنين على سررهم .
قاصرات الطرف	: أي عفيفات حابسات لنظرهن على أزواجهن .
أتراب	: جمع تِرب ، وهن المتحدات في سنهن المتساويات في حسنهن .
نفاد	: انقطاع ، فهو لا يفنى أبداً كما قال تعالى : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل : ٩٦] .
المهاد	: كالفراش وزناً ومعنى ، مأخوذ من مهد الصبى .
غسَّاق	: مبالغة من الغسق وله معانٍ كثيرة أنسبها هنا الشديد البرودة من قيح وصديد أهل النار.
من شكله أزواج	: الشكل المثل والشبيه، والأزواج الأصناف والأجناس ، والمراد أن لأهل النار أنواعاً وأصنافاً أخرى من المذوقات والعذاب.
فوج مقتحم	: الفوج الجمع الكثير من الناس، ومقتحم اسم فاعل من الاقتحام وهو الدخول في الشيء بشدة.
لا مرحبا	: الرحب السعة، يعني لا رحبت عليهم منازلهم ولا اتسعت.

القرار : المكان الذي يستقر فيه، والمراد مقرهم ومصيرهم.

قدَّم لنا : دعانا إليه وسغه لنا.

ضعفاً : مضاعفاً ، والمراد عذابان أحدهما لكفره وضلاله والثاني لدعائه إيانا وإضلالنا ، كما في الحديث « من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده » [1] .

من الأشرار : من الأراذل الذين لا خير فيهم ، والمراد بهم المؤمنون الذين حسبهم الكفار على الضلال.

أتخذناهم سخرياً؟ : مسخوراً منهم ومهزوءاً بهم، والاستفهام لإنكار ما فعلوه بهم وتوبيخ أنفسهم عليه.

أم زاغت : مالت عنهم ، وأم هي المنقطعة بمعنى بل .

تخاصم : مخاصمة بعضهم بعضاً ومدافعة مل منهم الآخر.

المعنى الإجمالي للآيات :

انتهى المقطع السابق من ذكر المختارين من عباد الله ومواضع القدوة في حياتهم الدنيوية لينتقل السياق ويمتد إلى حياة هؤلاء ـ ومن على نهجهم من المتقين ـ في الآخرة ، وتأكيد ما أعده الله لهم هناك مِن حسن المنقلب والأجر العظيم في الآخرة .

ثم تبين الآيات هذا الإجمال من حسن المنقلب والأجر العظيم ، فلهؤلاء جنات عدن يدخلونها من أي أبوابها شاءوا ؛ إذ هي مفتوحة كلها إكراماً لهم وإعزازاً ، وهم فيها آمنون منعمون، حيث راحة الاتكاء والجلوس، ومتعة الطعام والشراب من ألوان الفواكه وأصناف الأشربة، ولهم فوق ذلك متعة الحور العين الشواب المستويات سناً وجمالاً، واللائي لا يتطلعن إلى غير أزواجهن. فمن أمثال اللؤلؤ المكنون ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦].

(١) رواه مسلم، انظري صحيح الجامع ، الألباني، ٢/ ١٠٨٠، ح (٦٣٠٥).

ويُشَرِّف الله هؤلاء المتقين فيخاطبهم : بأن منقلبهم الحسن وأجرهم العظيم في الآخرة ، هو ما وعدهم الله به يُعطَونه عند حسابهم في الآخرة ، ثم إنه هو وغيره ـ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ لأهل الجنة ، رزق لهم من الله دائم لا ينقطع ، كما قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨].

هذا ما أعده الله للمتقين السعداء ، أما الظلمة والطغاة فلهم سوء المنقلب وشر العاقبة ، إنها جهنم التي تستقبلهم استقبال المهد للصبي ، ولكنه مهد لا راحة فيه فبئس المهد مهدهم يتقلبون فيه على النار ، ثم لهم فوق هذا من الشراب ما اشتد حره من المياه ، التي تشوي وجوههم وتقطع أمعاءهم ، وما اشتد برودته من أدران أهل النار ، وأقذارهم ، بل لهم أنواع أخرى من العذاب تماثل الحميم والغساق في الفظاعة والشدة ، فهم لا ينفكون أبداً عن تعذيبهم بالشيء وضده .

ثم يحكي سياق الآيات تخاصم هؤلاء الظلمة والطغاة مع من أضلوهم، حيث يقال لهم بعد دخولهم جهنم : هذا جمع كثيف داخل معكم، فيسارعون إلى عدم الترحيب بهم ؛ لأنهم ذائقو النار ومستحقوها مثلهم ، وحينئذ لا يسع الأتباع من الفوج المقتحم السكوت والرضا بما قرره القادة والمتبوعون ، بل يردون عليهم عدم الترحيب بهم مقررين أن القادة أكثر استحقاقاً لهذا العذاب منهم، فهم الذين زينوا أسبابه في الدنيا بغوايتهم إياهم ، ودعوتهم إلى ما أفضى بهم إلى هذا المصير السيء والقرار المهين.

ثم ترتفع أصوات الأتباع بالدعاء على رؤساء الضلال ربنا آت من قدم لنا هذا العذاب عذاباً مضاعفاً في النار، وزد لهم في عقابهم بما ضلوا وأضلوا ، ويجيء الرد عليهم كما حكى القرآن الكريم :

﴿ . . . قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٨].

وعند تصاعد المخاصمة هكذا ، بين الطغاة والرؤساء والأتباع الضالين ، يتذكر هؤلاء أعداءهم في الدنيا من المؤمنين ، الذين كانوا يحسبونهم من الأشرار الذين لا خير فيهم ، ما بالهم لا يجدونهم

معهم في هذه النار ، ألا إنهم سخروا منهم في الدنيا عندما كانوا يحدثونهم عن اليوم الآخر ، فهم لهذا يتنعمون في الجنان ؟ أم أنهم دخلوا النار معهم ولم تقع عليهم عيونهم ، فمالت عن النظر إليهم ، كما كانوا يعرضون عنهم في الدنيا ؟

ويختتم هذا المقطع بتقرير واقع أهل النار ، وتأكيد أن مخاصمتهم وجدلهم حق لا مرية فيه ، وهو حق مرّ مع مصير سيء كانوا قد تعجلوه من قبل بقولهم : ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ .

من فوائد الآيات :

١- أن جزاء الله للمتقين يمتد من ذكرهم الحسن في الدنيا إلى نعيمهم وحُسْن مرجعهم في الآخرة.

٢- أن نعيم المتقين في الجنة ومقرهم الدائم بها يقابله عذاب الطغاة في النار وقرارهم السيء بها، وهاتان الحقيقتان تتجاوران في القرآن الكريم ترغيباً وترهيباً.

٣- أن ما يذكره الله من نعيم الجنة وعذاب النار ما هو إلا تقريب لهذه الأشياء بما نشهده في عالم الحس يتناسب مع قصور إدراكنا ، أما حقيقتها في عالم الغيب التي يعلمها الله فهي فوق ذلك وأبعد .

٤- أن نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع ، وكذلك عذاب أهل النار في المقابل يكون دائماً غير منقطع.

٥- تنوع وسائل التعذيب في الآخرة من الشيء وضده ، كالحميم في شدة حره ، والغَسَّاق في شدة برده وما يشبههما.

٦- انقلاب مودة الكفار وموالاتهم في الدنيا إلى حنق وبغض في الآخرة، حيث يلعن بعضهم بعضاً.

٧- مضاعفة العذاب في الآخرة للضالين المضلين؛ لما كانوا عليه من ضلال ولإضلالهم غيرهم.

٨- وقوف الظلمة والطغاة على حقيقة أمر المؤمنين وإدراكهم خيريتهم، ولكنه إدراك لا جدوى منه ولا فائدة.

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مآب ، أتراب ، نفاد ، غسَّاق ، فوج مقتحم ، سِخرياً ، زاغت » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما علاقته بالمقطع السابق عليه ؟ وكيف تم الانتقال إليه من سابقه ؟

٣- ما مصير كل من : المؤمنين المتقين والكافرين الطاغين ؟ ولماذا قابل بين مصير الفريقين وجزائهم؟

٤- ما وجوه تكريم المتقين ونعيمهم المعدة لهم في الآخرة ؟ وما الفرق بينها وبين تكريم الدنيا ونعيمها ؟

٥- وضحي وجوه عذاب الطغاة والكافرين في الآخرة؟ ثم ناقشي مظاهر إهانتهم فيما أُعِدَّ لهم.

٦- وضحي ـ بأسلوبك الخاص ـ مشهد تخاصم الكفار في النار مستعينة بما تعرفين من الآيات في ذلك .

٧- ما المقصود بسؤال الضالين يوم القيامة عن المؤمنين ؟ ولماذا لا تنفعهم معرفتهم بحقيقة المؤمنين ومصيرهم؟

٨- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

(سورة ص) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
القهار	: مبالغة في القهر بمعنى الغلبة والسيطرة فهو الذي تخضع له وتذل كل المخلوقات.
العزيز	الغالب الذي لا يغلب والقوي القادر الذي لا تُحَدّ قوته أو قدرته .
نبأ عظيم	: خبر مهم وشأن جليل ، والمقصود به إرسال الرسول إليهم .
يختصمون	: من الخصومة ، والمراد اختلاف الملأ الأعلى في أمر آدم وامتناع إبليس عن السجود له .
من روحي	: الروح خلق من خلق الله إضافة إلى نفسه تشريفاً وتكريمًا .
سويته	: أتممت خلقه حتى صار مستوياً في الصورة البشرية .
فقعوا	: فعل الأمر للجماعة من الوقوع ، والمراد : اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة .
بيديّ	: أي بيديه سبحانه اللتين تلقيان بجلاله وهما يدان حقيقة لا مجازاً ، وهذا تشريف لآدم عليه السلام وعناية خاصة به ولِحِكَمٍ أخرى [1] .

(١) انظري فتاوى ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ج ٦/ ٣٦٣ .

استكبرت أم كنت من العالين : أأنقت من السجود تعظماً واستكباراً بغير حق ؟ أو كنت مِمَّن علا وتفوق على الأمر بالسجود ؟ [1]، والاستفهام في الموضعين للإنكار والتوبيخ.

رجيم : فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم ومطرود من كل خير.

لعنتي : لعنة الله طرده للملعون وإبعاده له عن رحمته .

فأنظرني : أمهلني ولا تعاجلني بعقوبتك .

لأغوينهم : لأضلنهم وأزينّ لهم المعاصي .

المتكلفين : المتصنعين للشيء .

المعنى الإجمالي للآيات :

في هذا المقطع الأخير من السورة يعود السياق إلى قضايا العقيدة التي أجملت في صدرها وبخاصة قضية النبوة ، التي يستدل بها بإخبار النبي ﷺ عما دار في الملأ الأعلى عند بدء الخليقة .

ويؤمر الرسول ﷺ أن يواجِه قومه بحقيقة مهمته التي تنحصر في الإنذار والتبليغ ، إنذار أمته وتحذيرهم عذاب الله إن خالفوا أمره، وتبليغهم هدى الله ووحيه وأنه المستحق وحده للألوهية والعبودية ، ثم يدع أمر المنذَرين والمبلَّغين إلى الله الواحد القهار ، الذي تخضع له كل المخلوقات إذ هو المالك للسماوات والأرض وما بينهما القوي القادر على تصريف أمورهما ، فلا ملجأ لأحد إلا إليه، ولا غفران للذنب إلا في ساحته.

ثم يؤمر الرسول ﷺ مرة أخرى بإعلانهم بحقيقة ما جاء به من الخبر العظيم والنبأ الجليل ، وهو الإنذار الذي أعرض عنه مشركو العرب ، وظنوه أمراً شخصياً بينهم وبين محمد، وما محمد ﷺ إلا

(١) راجعي في المراد بـ (العالين) معاني أخرجه في روح المعاني ـ الألوسي ٢٣/ ٢٢٦-٢٢٧ .

حامل للنبأ ومبلغ إياه، وما كان له أن يعلم شيئاً من وراء هذا النبأ أو يعرف ما دار بين الملأ الأعلى في فجر البشرية لولا إعلان الله له بذلك ووحيه له، أن ليس له من الأمر والنبأ إلا حمله وتبليغه للناس وإنذارهم به.

وهنا تعرض الآيات دليل النبوة مفصلاً من إعلام الله لمحمد ﷺ قصة الخلق الأول وما حدث بشأنه في الملأ الأعلى ، حيث قال الله لملائكته إنه سيخلق بشراً من طين، وأمرهم أن يهبطوا بالسجود لهذا البشر إذا اكتمل خلقه ونفخ الله فيه من روحه، ويستجيب الملائكة لأمر الله ـ كما هو شأنهم ـ فيسجدون جميعاً لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتثالاً لأمر الله عز وجل [1] ، أما إبليس الذي لم يكن من جنسهم ـ إذ هو خلق من نار وهم خلق من نور– فقد خانه طبعه واستنكف عن السجـود الذي أُمِر به مع الملائكة ، فكان بامتناعه من الكافرين .

ويكشف إبليس في إجابته عن سبب امتناعه عن امتثال أمر الله بالسجود لمن اختص الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه بأنه الحسد لآدم حيث باشر الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه فأعلاه على إبليس الذي خلق من مارج من نار ، فعاد به طبعه إلى الكـبر والعـناد .

وإذ يخطئ إبليس بامتناعه عن السجود وحسده لآدم ورده القبيح على الله ، يجيئه أمر الله بطرده من رحمته تلاحقه لعنة الله في الدنيا ، حتى يوم الدين ولكن اللعين يسأل الله إمهال عقابه وإنظاره إلى يوم البعث ، وتقتضي حكمة الحليم إجابة مطلبه وإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهنا تحول حسده لآدم إلى تصميم على الانتقال من آدم وبنيه ، ويكشف الملعون عن هدفه في تأكيد جازم، مقسماً بعزة الله ليضِلَّن جميع الآدميين ، لا يستثني منهم إلا من عصمهم الله من غوايته وإضلاله، وأخلصهم الله لنفسه كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٥].

(١) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج ٤/ ٤٣ .

وهكذا تتضح أبعاد المعركة بين إبليس وبني آدم ، غواية وحقد في ناحية ، وعبودية لله واعتصام بمنهجه في ناحية ، كما تتضح عاقبة المعركـة التي يعلنها الحق في وعده الصادق الحق ، ليملأن جهنم من إبليس وذريتهم ومن تبعهم في إغوائهم من بني آدم :

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢].

وتختتم السورة بتكليف الرسول ﷺ بإلقائه للكفار والمشركين قوله الأخير، فها هو قد أتاهم بالأدلة الشاهدة على صدقه ، والحال أنه لا يسألهم على تبليغ ما أوحي إليه شيئاً أي شيء من حطام الدنيا ، ولا هو بالذي يتصنع ما يأتيهم به ، وما آتاهم به ليس إلا عظة للعالمين ، وتذكيراً لهم إن غفلوا أو نسوا ، وإنه لنبأ عظيم لا يلقون اليوم بالهم إليه ، ولكنهم لابد عالمون نبأه وحقيقة أمره بعد اليوم عندما يريد الله لهم عمله ، أو يحق وعـد الله اليقين ، وصـدق الله العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣].

مـــن فـــــوائـد الآيـــات :

١- في مجال الدعوة والعظة يحسن تكرار الأمر وعرضه في صور شتى مبالِغَةً في النصح والإرشاد.

٢- انحصار مهمة الرسول ﷺ تجاه أمته في الإنذار والتبليغ وما في معناهما قبل الأمر بالجهاد .

٣- تحذير المشركين عاقبة الحسد والتكبر على محمد ﷺ التي أهلكت إبليس لحسده لآدم وتكبره عليه.

٤- من صفات الله ـ جلا وعلا-الوحدانية والقهر والعزة والقوة .

٥- أن أمر محمد ﷺ ونبوته أعظم وأجل مما حسبه المشركون ؛ إذ هو الحق الذي ينصلح به أمر العباد ويتفق مع الحق الذي قامت عليه سائر الأكوان.

٦- أصل الإنسان وسائر عناصره من الطين ما عدا الروح وهو يستحيل إلى أصله الطيني عند مفارقة الروح له، قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥].

٧- يتميز الإنسان عن سائر الأحياء بقابلية للتحضر العقلي.

٨- شرف آدم وكرامته عند الله ؛ إذ أسجد له الملائكة وخلقه بيديه.

٩- أن تسلط الشيطان دائم ، ولا عصمة لأحد منه إلا باللجوء إلى الله وإخلاص العبودية له.

١٠- لم يكن إبليس من جنس الملائكة، بل كان عابداً من الجن حسد آدم وفسق عن أمر ربه فصار كافراً .

١١- تكشف البشرية الدائم لنبأ القرآن الكريم ، وتذكرها ـ جيلاً بعد جيل ـ ما أودع الله فيه من أسرار إلى ما شاء الله مصداقاً لوعد الله : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

١٢- في خلق الله لآدم بيديه ثبوت صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله، ورد على من زعم أنها القوة .

١٣- ذكر معجزة من معجزات النبي ﷺ وهي الإخبار بما دار في الملأ الأعلى حين خلق آدم عليه السلام .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « نبأ ، سويته ، فقعوا ، رجيم ، أنظرني ، لأغوينهم » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ ولماذا أعيد تقريره في ختام السورة بعد أن نوقش في صدرها؟

٣- ما حدود مهمة الرسول ﷺ ؟ ولماذا تكررت في الآيات ؟ وماذا ذكرت الآيات من صفات الله ؟

٤- « قل هو نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون » اشرحي هاتين الآيتين مبرزة حقيقة الإسلام وما يجب على المسلمين نحوه ؟

٥- اشرحي ـ في إيجاز ـ الدليل الذي ساقته الآيات على نبوة محمد ﷺ .

٦- ما المراد بالروح في قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ؟ وما الحكمة في إضافتها إلى الله ؟ وما سبب حسد إبليس لآدم وامتناعه عن السجود له؟

٧- استخلصي بأسلوبك ما يمكن استخلاصه من العظات والعبر في قصة خلق آدم وما دار حولها ؟

٨- ما الحكمة في إنظار إبليس ؟ وكيف ينجو الإنسان من غوايته ؟ وما جزاء من أطاعه واتبعه في غوايته ؟

٩- ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ اشرحي هذه الآية مبرزة دور القرآن الكريم في هداية البشرية حتى يوم الدين ؟

١٠- اذكري أربع فوائد أفدتِها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها.

بين يدي السورة

(أ) اسم السورة :

تعرف هذه السورة بسورة « الزُّمَر » ، ويقال عنها سورة « الغُرَف » ، وكلا اللفظين وارد ببعض آياتها، وقد وردت التسمية الأولى على لسان ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كما في الحديثين التاليين ، أما التسمية الثانية فقد حكيت عن وهب بن منبه قال : من أحب أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ الغُرَف [1] .

(ب) تنزلات السورة ومكيتها :

نزلت سورة الزُّمَر بعد سورة سبأ ، وتأتي المرتبة التاسعة والخمسين من حيث نزول سور القرآن الكريم، كما يأتي ترتيبها في المصحف الشريف من حيث التوقيف والتلاوة في المرتبة التاسعة والثلاثين.

والسورة في مجموعها مكية كما روي عن ابن عباس عنهما قال : أنزلت سورة الزمَر بمكة [2] ، وفي رواية أخرى عنه إلا بضع آيات مدنية نزلت في وحشي وناس من المشركين [3] .

وعدد آيات السورة خمس وسبعون آية في الكوفي [4] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٣٢ ، روح المعاني ٢٣/ ٢٣٢ .

(٢) أخرجه عنه البيهقي في الدائل وغيره ، راجعي : فتح القدير ٤/ ٤٤٧ .

(٣) راجعي : فتح الباري ٨/ ٥٤٩ ، فتح القدير ٤/ ٤٤٧ .

(٤) وثلاث سبعون في الشامي وثنتان وسبعون في غيرهما ، راجعي : التبصرة ص ٤٨٨ ، غيث النفع ص ٣٣٨ .

(ج) فضائل السورة :

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ لاينام حتى يقرأ الزمَر وبني إسرائيل ، وعنها بلفظ آخر : كان رسول الله يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمَر [1] .

(د) أهم موضوعات السورة :

-١ تكاد تدور آيات هذه السورة في جملتها حول موضوع واحد ، هو التوحيد الذي تعرضه الآيات في صور شتى لتطبع حقيقته في القلب ، وتنفي عنها كل شك وريب ، نطالع هذه في مفتتح السورة ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ ويتردد صراحة أو تلميحاً خلال السورة حتى تختم السورة به ﴿ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

وإلى جانب هذا الموضوع الواحد (التوحيد) الذي لا يخلو منه مقطع من مقاطع السورة ، نجد موضوعات أخرى تُزْجى هذا التوحيد وتزكيه ، وتشيع في السورة شيوع التوحيد مثل :

-٢إيقاظ القلوب وتهيئتها لتلقي التوحيد ، والاستجابة لداعي الله بالترغيب مرة والترهيب أخرى.

-٣ ظلال الآخرة ومشاهدها التي تتلاحق ، ويظهر من خلالها جزاء الموحدين وثوابهم ، وجزاء المشركين المكذبين وعقابهم .

(١) أخرجه الإمام أحمد ، راجعي : الفتح الرباني ـ أبواب صيام التطوع ١٠/ ١٩٦ ، وسنده جيد كما قال صاحب الفتح .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

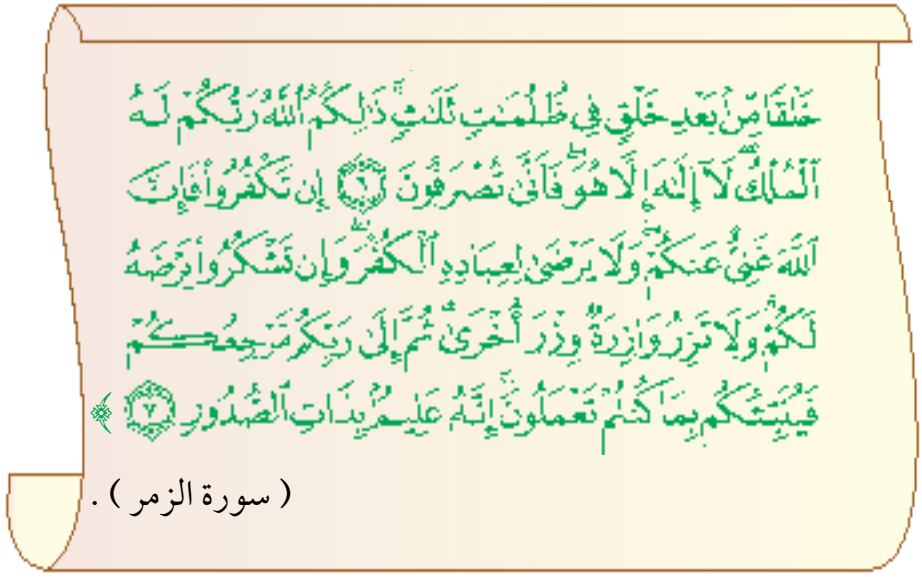
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

(سورة الزمر) .

معني المفردات :

الكلمة	معناها
مخلِصاً	: اسم الفاعل من الإخلاص ، وهو في العبادة تمحيضها لله وتصفيتها من الشرك .
ألا لله الدين الخالص	: ألا أداة استفتاح، والجملة بعدها مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص.
أولياء	: جمع وليّ وهو الناصر والمعين ، والمراد الآلهة والأصنام التي عبدها المشركون .
لاصطفى	: اختار ، من الاصطفاء وهو الاختيار وأخذ الصفوة .
يكوّر	: من التكوير وهو لف الشيء وطيه على غيره .
وسخّر	: من التسخير وهو التذليل ، والمراد منه جعل الشيء منقاداً .
لأجل مسمى	: أي لمدة معينة ومحددة يعلمها الله ، وهو يوم القيامة .

نفس واحدة : المراد بها النفس الأولى ، وهي نفس آدم عليه السلام .

زوجها : المراد حواء خلقها الله وجلعها من نفس آدم فطرة وطبعاً .

أنزل لكم : خلق لكم .

ثمانية أزواج : جمع زوج ، والأنعام الثمانية هي : الضأن والمعز ، والإبل والبقر ، من كلٍّ ذكر وأنثى ، ولا تسمى أنعاماً إلا والإبل معها .

ظلمات ثلاث : يعني ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن [1] .

فأنى تُصرفون ؟ : فكيف تنصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره ؟

وِزر : الوزر في الأصل الحمل الثقيل ، والمراد به الإثم والذنب .

المعنى الإجمالي للآيات :

تبدأ هذه السورة بتقرير أن هذا القرآن الكريم منزل من عند الله القادر على تنزيله ، والحكيم في أقواله وأفعاله الذي يعلم فيم أنزل القرآن الكريم ؟ ولماذا أنزله ؟

ولهذا تجيء الآيات مؤكدة إنزال هذا القرآن بالحق الذي قام عليه نظام الكون كله ، ويقتضي ألا تكون العبادة إلا لمن يستحقها وهو الواحد الأحد .

ومن ثم يؤمر الرسول ﷺ ـ ومن ورائه أمته ـ بتمحيض العبادة لله وتصفيتها من شوائب الشرك ، إذ هو وحده المستحق للعبادة ، وله وحده الدين خالصاً .

أما هؤلاء المنحرفون عن توحيد الله متخذين لهم آلهة غيره، أو مشركين لها معه في العبادة [2] ـ زاعمين

(١) هذا قول المفسرين ولا ينافي ما اكتشف الطب الحديث أن الظلمات الثلاث كلها داخل الرحم . راجعي : خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ٢٠١ .

(٢) كان المشركون يعلنون أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض ، كما حكى القرآن الكريم عنهم ، ولكنهم انحرفوا عن إخلاص الدين له ، فابتدعوا خرافة بنوة الملائكة لله ، وصاغوا أصناماً على صور الملائكة في زعمهم وعبدوها ، زاعمين أن عبادتهم لتماثيل الملائكة لتشفع لهم عند الله في نصرهم وقد رد الله عليهم بقوله : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٨) وهذه شبهة تمسك بها المشركون قديماً وحديثاً وما زال في الناس إلى اليوم من يعبد الأولياء والطواغيت ـ مثل عبادة العرب الأولين للملائكة أو تماثيلها وهي الشبهة التي تصدت لها الرسل وحاربتها قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ (النحل : ٣٦) .

أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم منه منزلة ومدعين أنهم بذلك على الحق ـ فإن الله يتهددهم مؤكداً أنه يفصل بينهم يوم القيامة ويحكم بالحق فيما اختلفوا فيه هم وأهل التوحيد ، ويجازي كلاً بما هو أهل له ، أما في الدنيا فإن الله لا يهديهم إلى الحق ، لأنهم يكذبون على الله بادعاء الولد له وشفاعة آلهتهم عنده ، والله لا يهدي من كان هكذا على شاكلتهم ﴿ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ .

ثم يُفصِّل السياق ما كذبوا فيه ويكشف عن سخف تصورهم في اتخاذ الله الولد ، وأنه لو أراد ذلك[1] فرضاً لم يكن اختياره إليهم ، بل هو الذي يختار سبحانه ما يشاء ، كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٧) فيكون قولهم باطلاً من وجهين :

-١ استحالته في حق الله تعالى .

-٢ أن الاختيار لو فرض وقوعه ليس إليهم .

ثم تجيء الآيات بعد ذلك دالة على وحدانية الله وكمال قدرته ، التي لا تحتاج إلى الولد ولا تصح فيها الشركة ، فهذه السماوات بأجرامها والأرض بما فيها مخلوقة لله على الحق الثابت والناموس المحكم الذي لا يتزعزع ، أو يضطرب ، مع ما نشهده من تصرفه فيهما بتكوير الليل وغشيان ظلامه لضوء النهار ، ثم تكوير النهار وغشيان ضوئه لظلام الليل ، في مشهد يتكرر ولا يتخلف ، لا يسبق أحدهما الآخر ، وتذليله للشمس والقمر وجعلهما منقادين لأمر الله ومشيئته ، مع جريان كل هذه الأجرام في أفلاكها ومداراتها ، إلى المدة التي يعملها الله ويأذن بانتهاء دورانها عندها.

فهلا تنبه العباد إلى أن هذا الخلق العظيم دال على قوة الخالق ، التي لا تحتاج إلى ولد أو شريك ، وستره لذنوب عباده التائبين من كذبهم عليه وكفرانهم به !

ومن آية الخلق في الكون الكبير إلى آية الخلق في الحياة والأنفس ، ليطلعنا الله على نوع آخر من كمال قدرته وبديع صنعه ،فقد خلق الله الناس جميعاً من نفس واحدة ، جعل الله منها زوجها ليسكن

(١) ولكنه لم يُرِد ولا ينبغي له ذلك ؛ إذ الأمر على سبيل الفرض الجدلي، قصداً لتجهيلهم فيما ادعوه وزعموه.

إليها وتمتد بهما الحياة وتقوم على هذه الزوجية التي يذكر لنا الله شاهداً منها في الأنعام ثمانية أزواج، من الضأن والمعز والبقر والإبل .

ثم يكون تفصيل الخلق في مراحله الجنينية أدخل في باب القدرة ، وأكمل في إظهار الإعجاز والرعاية ، حيث يخلق الأحياء في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق ، يكون أحدهم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ولحماً وعصباً ، حتى ينشئه الله خلقاً آخر ، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون :١٤) ، وهو في هذه الأطوار الخلْقية محفوف برعاية الله في ظلمات ثلاث داخل رحم أمه، وذلكم العظيم الذي هذه أفعاله هو الله القائم على كل شيء ، إذ له ملك كل شيء لا شركة لغيره في شيء من ذلك ، فكيف يشرك معه في العبادة غيره أو تصرف عنه إلى غيره ؟ !

ثم يختتم هذا المقطع بإيقاف البشر جميعاً أمام تبعتهم الفردية في الإيمان والكفر ، فإن الله الذي خلقهم غني عنهم فلا يضره كفرهم به [١] ولكنه لرحمته بهم لا يرضاه لهم ولا يحبه منهم [٢] ، إنما يرضى لهم ويحب منهم شكرهم له ويجازيهم عليه خيراً ، حيث تجازى كل نفس بما كسبت ولا يحمل أحد عبء أحد ، ثم يكون المرجع والمصير في النهاية إلى الله وحده يوم يخبر الجميع بما كانوا يعملون في الدنيا مما أحصاه الله عليهم ونسوه من أعمالهم لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

من فوائد الآيات :

١- توحيد الله وإخلاص الدين له أساس الحق ، الذي نزل به القرآن الكريم ، وقامت عليه السماوات والأرض .

٢- انتفاء الواسطة بين الله وعباده ـ شرعاً وفطرة ـ في العبادة والدعاء ، وثبوتها في تبليغ الشرائع والرسالات .

(١) أخرج مسلم عن أبي ذر ﷺ في حديث قدسي طويل عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تعالى : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ؛ يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » الصحيح كتاب البر ـ باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٥م .

(٢) وإن كان وقوعه منهم بإرادته ومشيئته الكونية القدرية لحكمة يعلمها سبحانه .

-٣ من صفات الله تعالى التي نصت عليها الآيات الوحدانية والحكمة والقهر والعزة والغفران.

-٤ استحالة اتخاذ الله للولد ، لأنه واحد أحد لا حاجة به إلى شريك أو صاحبة أو ولد ولأنه لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له .

-٥ في الآيات الكريمة رد صريح على الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين . وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . . . ﴾ .

-٦ في تعاقب الليل والنهار وتكوير كل منهما على الآخر ، دليل على كروية الأرض وجريان الشمس والقمر .

-٧ حكمة الله في تسيير أجرام السماوات وتقليب الليل والنهار :

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ . (النمل : ٨٨) .

-٨ يتركز استدلال القرآن على وحدانية الله في مجالين من خلقه هما الكون الفسيح وأنفس الأحياء.

-٩ قيام الخلق في الأحياء وغيرها على قاعدة الزوجية ، المؤذنة بضرورة وحدة الخالق وتفرده بالأحدية.

-١٠ تأكيد القرآن على حقائق خلق الأجنة وأطوارها ، ووسائل وقايتها التي لم يكتشفها علم البشرية إلا قريباً .

-١١ رضا الله لشكر عباده وسخطه لكفرهم .

-١٢ استقلال العبد بجزاء ما عمل من خير أو شر ؛ إذ كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تحمل نفس وزر أخرى .

-١٣ مشروعية التنزل مع الخصوم جدلاً في مجادلتهم ، كيما يلزمون الحجة التي لا يسعهم رفضها.

-١٤ الدلالة على القرآن الكريم كلام الله أنزله على رسوله ﷺ وذلك من قوله تعالى :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية ، رداً على الذين يزعمون أنه مخلوق .

المناقشة

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « أولياء ، يكور ، نفس واحدة ، ظلمات ثلاث ، وزر » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وأي الآيات فيه تصرح بهذا الموضوع ؟ وما معنى إنزل القرآن الكريم بالحق ؟

٣- وضحي ـ بأسلوبك ـ وجه الحق في إفراد الله بالعبادة وإخلاص الدين له .

٤- زعم المشركون أن منهجهم في العبادة هو المنهج الصحيح ، ناقشي شبهتهم وبيني كيف رد الله عليهم .

٥- اشرحي قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ مبينة ماذا يمكن للعلم أن يفيد من هذه الآية ؟

٦- وضحي وجه دلالة خلق السماوات والأرض بالحق ، وتسخير ما فيهن على وحدانية الله وكمال قدرته ؟

٧- وضحي وجه دلالة آية الخلق في الأحياء والأنفس على وحدانية الله وكمال قدرته ؟

٨- دلت آية الخلق في الأحياء والأنفس على وجه من وجوه الإعجاز القرآني لم يعرفه البشر إلا قريباً ، وضحي ذلك ، وهل ينافي ما ذكره المفسرون ؟

٩- وضحي ما يرضاه الله لعباده من العقائد وما يكره.

١٠- اذكري أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾
قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ

وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

(سورة الزمر) .

معاني المفردات :

الكلمة		معناها
ضُرّ	:	ما يصيب الإنسان من ضرر ، كمرض أو فقر أو خوف ونحوها .
خوَّله	:	منحه وأعطاه ، وملكه الشيء الممنوح والمعطى.
نسي ما كان يدعو إليه	:	النسيان ترك الشيء والذهول عنه، واسم الموصول (ما) صالح لتفسيره بالضّر المطلوب كشفه، أو نفس الدعاء ، أو المدعو وهو الله عز وجل.
أنداداً	:	جمع ندّ ، وهو المثل والنظير ، والمراد قرناء وشركاء.
قانت	:	من القنوت وهو في الأصل الطاعة، فيدخل فيه دعاء الله والخشوع في الصلاة.

آناء الليل : ساعاته وأوقاته واحدها : أَنْيٌ ، مثل نِحْيٌ وأنحاء ، أو إنىَ مثل مِعَى وأمعاء .

يـحـذر الآخـرة : يخشى عذابها ويخاف عقابها.

يا عباد : النداء للتنبيه والإعلان ، والمنادِى هو الله ، والرسول مبلغ عنه.

اتقوا : فعل الأمر للجماعة من التقوى ، وهي : أخذ الوقاية من عذاب الله.

يوفى : من التوفية وهي بذل الشيء وافياً تاما.

بغـير حـسـاب : أي لا يحسب ثوابهم ، لأن أجرهم لا نهاية له.

أول المسـلمين : يعني من هذه الأمة.

ظُـلل من الـنـار : أي طبقات النار ودركاتها التي تنزل بها طوائف الكفار.

اجتَنِبُوا : فعل الماضي للجماعة من الاجتناب ، وهو الإعراض والابتعاد.

الطاغوت : للواحد والجماعة ، وهو كل متجاوز للحد معبود من دون الله.

وأنابوا : رجعوا من النوب وهو الرجوع مرة بعد أخرى.

غُرَف : جمع غرفة ، والمراد منازلهم ودرجاتهم في الجنة التي بعضها فوق بعض.

المعنى الإجمالي للآيات :

يَعرض هذا المقطع في بدايته صورتين للإنسان ، إحداهما للكافر المتقلب ، والذي يُعرض عن دلائل التوحيد في الرخاء والسراء ، ولا يعرف الله إلا في الشدة والضراء ، حيث يرجع إلى ربه داعياً إياه أن يزيل عنه شدته ويكشف ضره ، ثم إذا منحه الله من نعمه فأزال شدته وكشف عنه ضره نسي تضرعه إلى الله وتطلعه إلى كشف ضره [1] ، وذهب يشرك بالله غيره ، ويتطلع إلى أمثال وبدائل عن

(١) وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ : [يونس: ١٢] .

الله ، منحرفاً بذلك ـ وداعياً غيره إلى الانحراف ـ عن العبادة الصحيحة والتوحيد الخالص؛ ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله ﷺ بتهديد هذا الكافر ووعيده المؤكـد بعقابه ، فليتمتع بكـفره ما شاء له ذلك من متاع الدنيا ، حتى يستقبل ما أُعدّ له في داره ومستقره من النار.

أما الصورة الأخرى ، فهي صورة المؤمن الموحد ، الخاشع أبداً في عبادته ، والذاكر دوماً لربه في جميع أحواله وفي ضرائه قبل سرائه حذراً من عذاب الآخرة ، ورجاء في رحمة الله ، فهو في اتصال دائم بالله ، يورثه المعرفة الحقة والعلم اليقيني، ومِن ثَمّ فلا مساواة بين الكافـر الضال عن سبيل الله والمؤمن القانت لله تماماً ، كما لا يستوي العالمون بحقائق الأمور ، والعارفون بعاقبة خشوعهم لله، وغيرهم مِمَّن لا يعلمون شيئاً ، أو يعرفون عواقب نسيانهم لله ، فإن أمثال هؤلاء لا يفقهون موعظة ولا ينفعهم التذكير ، غنما يعتبر بذلك ويتدبره أصحاب العقول الواعية والقلوب المتفتحة التي تذكر الله ولا تنساه .

وفي إطار الذكر الدائم لله يتوجه سياق الآيات إلى تأسيس هذا الذكر ، حيث يأمر الله نبيه بنداء عباد الله المؤمنين ، أن يلزموا هذه الخشية من الله بإحسان العمل وإخلاص العبادة، حتى ينالوا بذلك الحسنى في الاخرة، كما قال تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن :٦٠] ، وألا يعجزهم عن التقوى والإحسان صوارف من الأهل والمال أو الديار والأوطان، بل عليهم التسلح بالصبر وتجاوز هذه الأمور وهجرانها إلى أرض الله الواسعة وعندها سيجدون ما يعوضهم الله به عن ذلك من واسع فضله وعظيم أجره كما وعد به عباده الصابرين .

ويأتي الأساس الثاني :

إعلانهم بما أُمِر به ﷺ من تجريد عقيدة التوحيد ، حتى يتميز مقام الألوهية لله جل وعلا عن مقام العبودية لرسوله ﷺ ، ويكون بإعلانه هذا أول المسلمين من هذه الأمة وسابقهم إلى التوحيد .

ويأتي الأساس الثالث :

إعلاناً آخر من الرسول ﷺ بخوفه من عذاب الله يوم القيامة ، إن هو عصى ربه [1] ، وأطاع قومه على شركهم وضلالهم.

ثم يتكرر إعلان الرسول ﷺ للتوحيد وإخلاص العبودية لله ، لإظهار إصراره عليه ، ولتهديد هؤلاء المصرين على الشرك ، والتهكم بهم أن يعبدوا ـ بعد هذا الإعلان ـ من دون الله ما يشاءون ، وليعلموا أن عاقبة ذلك هو الوبال والخسران لأنفسهم وأهليهم ، وورودهم وإياهم موارد التهلكة في الآخرة، وليس بعد خسران النفس والأهل في هذا الموقف من خسارة فذلك هو الخسران الواضح ؛ إذ تلفحهم النار، وتغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وهذا مشهد حسي يعرضه الله على عباده في الدنيا، يحذرهم منه ويخوفهم به ، وهم بعد في مكنة من الحذر والتقوى ، والنجاة بأنفسهم وأهليهم من الوقوع فيه.

أما هؤلاء الذين أخلصوا التوحيد لله ، وجنوا أنفسهم عبادة غيره ، ورجعوا إليه وحده في كل ما يهمهم، فإن هؤلاء لهم البشرى من الله بالجنة يحملها إليهم الرسول الكريم ، فهم خليقون بذلك لطيب نفوسهم التي تجعلهم يقبلون على الطيب من القول ، ويعملون بأحسن ما يسمعون منه ، فهؤلاء الذين وفقهم الله لتوحيده لما علم في نفوسهم من الخير ، وهؤلاء وهم أصحاب العقول السليمة ، التي تقودهم إلى النجاة مِمَّا يهلك غيرهم ، كهؤلاء الذين وجب عليهم عذاب الله واستحقوه بعبادتهم للطاغوت ، فهم يندفعون إلى النار التي لا يملك أحد إنقاذهم ولو كان محمداً ﷺ .

ويختتم هذا المقطع بتفصيل بشرى المتقين، الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ، واتبعوا أحسن ما قيل لهم ، فهؤلاء يتقلبون في نعيم الجنة ، في طباق يعلو بعضها بعضاً ، محكمة البناء ومتقنة الصنع، تبهجهم أنهارها الجارية من تحتها ، في وعد لهؤلاء المتقين مؤكد حصوله ووقوعه ، فهو وعد الله الحق الذي لا يخلف الميعاد.

---

(١) وفي هذا الشرط تعريض بالمشركين وتماديهم في عبادة الأوثان من طريق الأولى والأخرى .

١- تقلب الكافر واضطرابه النفسي، ومعرفته لله في الشدة ، وإعراضه عنه وكفره به في الرخاء.

٢- ذكر المؤمن الدائم لربه على جميع أحواله وفي كل أحيانه ، رهباً من عذاب الله ورغباً في رحمته.

٣- عدم تساوي الكافر والمشرك مع المؤمن والموحد، كما لا يتسوي العالمون مع غير العالمين.

٤- أن نيل الحسنى في الآخرة لا يكون إلا لمن اتقوا ربهم في الدنيا ، وأحسنوا العمل لله وأخلصوا فيه.

٥- مشروعية هجرة المؤمن من موطن لا يمكنه فيه تقوى الله، وإحسان العمل إلى آخر يمكنه فيه ذلك.

٦- جزاء الله الواسع للصابرين على التقوى والإحسان ، ومفارقة الخلان والأوطان.

٧- تكرار ذكر التوحيد والإخلاص لله لإظهار ضرورته، وأنه سبيل النجاة من الهلاك في الآخرة.

٨- في المقابلة بين عذاب المشركين ونعيم المتقين، وترهيب من جهة، وترغيب لهم من جهة أخرى.

٩- من أضله الله فلا هادي له ولا منقذ من النار ولو كان نبياً مرسلاً .

١٠- استحقاق الموحدين للبشرى من الله، لما لهم منصفات التقوى والإنابة واتباع أحسن القول.

١١- الرد على الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين أو بقرابة الرسول ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ومن قوله : ﴿ ... أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ .

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « خَوَّله ، أنداداً ، قانت ، آناء ، اجتنبوا ـ الطاغوت » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما ملامح الصورة التي عرضها للكافر ؟ وماذا تقرر لهذا الكافر من جزاء ؟

٣- لماذا لا يستوي الكافر والمؤمن ؟ وضح وجوه عدم تساويهما ؟ مع الدليل على ذلك ما أمكنك .

٤- ما أسس ذكر الله ومراقبته التي عرض لها هذا المقطع ؟ وما جزاء من أحسن العمل في الدنيا وأتقنه ؟

٥- لماذا تكرار إعلان التوحيد في هذا المقطع ؟ وكيف نفهم معه أمر المشركين بعبادة ما يشاءون من دون الله ؟

٦- وضحي عاقبة المشركين من الخسران المبين؟ وما الذي يقابل خسرانهم مما أُعِدّ للمتقين؟

٧- ما البشرى التي أعدها الله للمتقين ؟ وما سبب استحقاقهم لها ؟

٨- اذكري أربع فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾
أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى

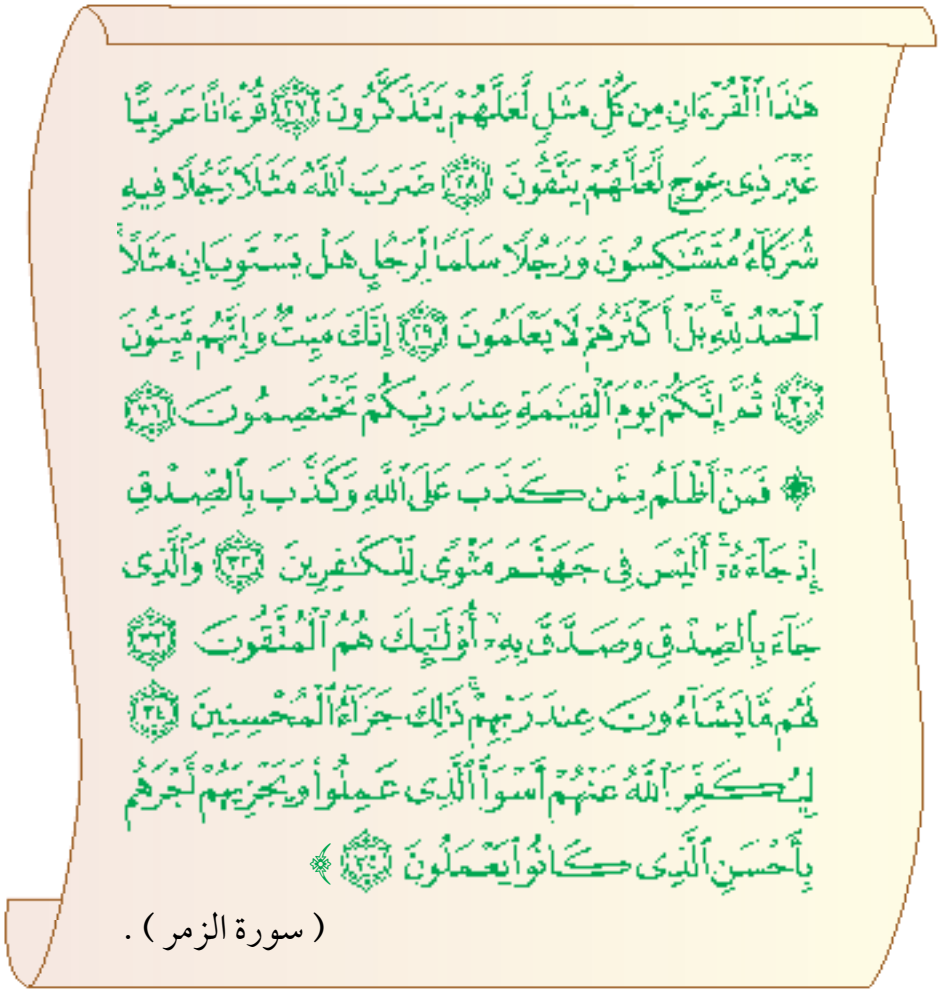
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾
۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ۞

(سورة الزمر) .

معاني الممفردات :

الكلمة	معناها
السماء	: لفظ السماء يطلق ويراد به ما علا وارتفع ، وقد يراد به السماوات السبع المبنية والمراد هنا الأول وهو السحاب .
فسَلَكَهُ..في الأرض	: أدخله وأجراه فيها . . .

ينابيع : جمع ينبـوع ، وهو العين من الماء الجاريـة التي ينبع منها الماء.

ألوانه : الألـوان معروفــة ، والمراد ما هو أعم منها ، كالأشـكال والأصنـاف والأنـواع والطعوم وغيرها .

يَهِيج : يجف وييبس ويضمر ، بعد اخضرارا ورواء ونضارة .

حطاما : متكسراً ومتفتتاً من شدة جفافه ويبسه ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [الكهف : ٤٥].

شرح : شرح الصدر (القلب) وانشراحه اتساعه وتقلبه للشيء، وانفعاله وفرحه به.

نور من ربه : المراد به البصيرة والهدى من الله.

للقاسيـة قلـوبهم : قسوة القلب صلابته وجفاؤه ورفضه لقبول الحق.

متشابهاً : يشبه بعضه بعضاً ، ويصدق بعضه بعضاً.

مثاني : من التثنية يعني تثنى فيه موضوعاته ويزاوج بينهما كالأمر والنهي ، والثواب والعقاب والجنة والنار.

تَقْشَعِرّ : من القشعريرة وهي الانقباض والاضطراب.

تلين : من الليونة وهي الانبساط والهدوء.

غـيـر ذي عـــوج : العوج الاعوجاج والميل ، والمراد : لا لبس فيه ولا اختلاف .

مشاكسون : متنازعون مختلفون .

سَلَماً : سالماً وخالصاً لصاحبه .

ميِّت : بتشديد الياء من لم يَمُت بعد وسيموت وهو المراد ، وبتخفيها من مات فعلاً وفارقته الروح .

تختصمون : من المخاصمة ، وهي : الاحتكام للقضاء ، والفصل بين الناس .

الصدق : ما هو ضد الكذب ، والمراد : الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ .

مثوى : مقاماً ، أصله من ثوى بالمكان إذا قام به .

أســوأ ، وأحــسـن : معروفان في التفضيل ، والمراد مطلق السيئات والحسنات .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبدأ هذا المقطع بلفت أنظار المشاهدين إلى بعض دلائل التوحيد ، وما تضنمته من عظيم قدرة الله، كثيراً ما يشاهد الإنسان إنزال الله للماء من السحب سيولاً منهمرة على الأرض، ويتسرب كثير منها إلى داخلها ، لتنتفع به الحياة والحياء عندما يأذن بذلك الله فتتفجر به ينابيع الأرض وعيونها، ومن ثَمَّ تنشأ به الحياة النباتية على ظهرها بألوان وأصناف شتى من الزرع النضر والنبات الخضر ، الذي ما يلبث أن يبلغ تمامه، ويأتي إلى نضجه ويبسه ، ثم يتغير لونه وتضعف قوته فيصير حطاماً هشيماً ، كل ذلك تتملاه الأعين فيملأ القلوب الواعية بالذكرى والتدبر ، ويعمق إيماناً بالواحد المقتدر .

ومثل هذه القلوب المتفتحة للخير والعقول المتدبرة لصنع الله ، وهي التي ينتفع أصحابها بهذا المشاهد ، حيث هيأهم الله لتقبل دينه ، وأسلموا لربهم ، فعاشوا حياتهم على هدى من نوره ، ولم يكونوا كغيرهم مِمَّن توعدهم الله بالويل والهلاك ، لغلظ قلوبهم التي لم ترق لذكر الله ، وظلمة نفوسهم التي لم تشرق بنوره ، فعاشوا حياتهم في ظلام لا نور لهم ، وضلالة لا هادي لهم .

وها هو كتاب الله فيه النور والهدى ، أنزله الله حديثاً حسناً وقرآناً كريماً يشبه بعضه بعضاً ، وتعاد فيه المعاني وتتزاوج ،ولكنها أبداً لا تختلف أو تتناقض، ومِن ثَمَّ تنفعل به نفوس الذين يخشون ربهم ويتقونه ، فترتجف له أعضاؤهم وترتعش منه جلودهم ، رهباً من عذاب الله وعقابه ، ثم تهدأ نفوسهم فتنبسط جلودهم وتأنس قلوبهم إلى ذكر الله ، رغبة في رحمته وثوابه ، وهكذا يهدي الله بهذا الكتاب من يشاء هدايته وتوفيقه، أما من يخذله الله ويضله فلن تجد له هادياً إلى الحق.

وكما اختلف شأن هؤلاء في تلقيهم لكتاب الله وهديه، يختلف شأنهم يوم القيامة ، ولن يتساوى مَن قَبل الحق فأمن المكاره في الآخرة مع هذا الشارد عنه الذي يدفع عذابه يوجهه في الآخرة حين يقال له ولأمثاله من الظلمة : ذوقوا جزاء ما كسبتم من الانحراف عن الحق ، وتكذيبكم ما جاء عن الله ، وهكذا يندرج هؤلاء في سلك الأمم التي كذبت رسلها فأنزل الله بهم عقابه بغتة من حيث لا يحتسبون ، ولحقهم الذل والهوان في الدنيا، مع ما ينتظرهم في الآخرة مما هو أكبر من خزي الدنيا وصغارها ، ولو علم هؤلاء أو اتعظوا ، هيهات لهم .

وعن ذكر هذا المثل من مكذبي الأمم ، يقر السياق ان هذه الأمثال في القرآن الكريم إنما ذكرت رجاء أن يتعظ بها الناس فيقلعوا عن شركهم وتكـذيبهم ، وبخاصة أن هذه الأمثال جاءتهم بهذا القرآن العربي، الذي لا يغيب عنهم بيانه، فلا اعوجاج فيه أو انحراف ولعلهم ـ بعد ذلك ـ تنفعهم الذكرى والموعظة ، فيتقوا كُفرَهم بالله وتكذيبهم رسوله ﷺ .

ومن هذه الأمثال في القرآن ما يذكره الله مثلاً لمن يعبد إلهاً واحداً ومن يعبد آلهة متعددة فهما لا يستويان حالاً، كما لا يستوي حال العبد الذي يملكه سيد واحد ولا ينازعه أحد فيه، مع حال العبد الذي يملكه سادة متنازعون ، ولما كان حال هذين لا يستويان كما لا يستوي التوحيد والكفر ، ثبت أن المستحق للحمد هو الله الواحد المالك لكل شيء ، وليس الشركاء المتشاكسون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون استحقاق الله للحمد فيشركون معه سواه ، وهم ـ لا شك ـ مدركوا ذلك ومقرروه عندما تنتهي حياتك يا محمد وحياتهم ، ويقفون جميعاً للخصومة عند صاحب الحمد ، ويومها يتبين من كان على الهدى ومن كان على الضلال ، من الموحدين الصادقين والكاذبين الظالمين .

ويطلعنا الله في نهاية هذا المقطع على حقيقة الموحدين والمشركين ، وما أعد لهم من الجزاء ، فيقرر : أن ليس هناك أظلم ممن جمعوا أطراف الباطل، إذ يكذبون على الله بزعمهم أن له بناتٍ وولدا ، ويجعَلون له شركاء وأنداداً ، ثم هم يُكـذِّبون بالصدق الذي جاءهم به رسولهم ﷺ من التوحيد والوحي والمعاد وغيرها فدخلوا بكذبهم وتكذيبهم في عداد الكافرين ، واستحقوا جهنم مثوى لهم وساء مقاماً.

أما رسول الله ﷺ الذي جاءهم بهذا الصدق ، ومعه المؤمنون الذين صدقوه وتابعوه إلى يوم

الدين، فهم المتقون الموحدون الذين برئوا من الشرك والضلال ، ولهذا كان لهم عند ربهم ما يشاءونه من أنواع النعيم والكرامة ، الذي أعده الله لأمثالهم من المخلصين والمحسنين ، وفي هذا إيذان برفع درجاتهم ، والتفضل عليهم إذ يجزيهم الله بما هو فوق العدل فلا يؤاخذهم بسيئات أعمالهم، بل يتجاوز عنها ويغفرها لهم على حين يثيبهم ويجزيهم بحسناتهم تفضلاً منه وإحساناً فوق إحسان :

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

من فوائد الآيات :

١- في إنزال الماء من السحب واختزانه في الأرض لإخراج الزرع به آيات على وحدانية الله وقدرته.

٢- عدم الاطمئنان إلى الدنيا أو الركون إليها ، فزهرتها ذابلة حتماً وخضرتها إلى هشيم وحطام.

٣- تفاوت تأثير القرآن على الناس حيث يحيا به المؤمن ويهتدي، ويضل عن هديه الكافر ويرتدي.

٤- من شرحت صدروهم للإسلام أمنوا المكاره في الآخرة ، ومن قست قلوبهم اتقوا عذابهم بوجوههم فيها.

٥- إن عذاب الدنيا للمكذبين لا يغني عن جزائهم وعذابهم في الآخرة.

٦- ذكر الأمثال في القرآن الكريم ، لتقريب المعاني إلى الأذهان :

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] ،

﴿ . . . يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] .

٧- اختصام الرسول ﷺ والموحدين مع المشركين المكذبين ، والفصل بينهم يوم القيامة .

٨- أظلم الظلمة الكاذبون على الله المكذبون لرسله عليهم السلام ، والذين مأواهم جهنم وبئس مثواهم.

٩- كرامة الموحدين المحسنين عند ربهم، وتفضله عليهم بغفران سيئاتهم، ومجازاتهم بإحسانهم إحساناً.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « سلكه ، يَهِيج ، حطاماً ، خِزْي ، متشاكسون ، سلماً ، مثوى » .

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وما نوع الدلائل المستخدمة فيه ؟ وما المراد بشرح الصدر وقسوة القلب؟

٣- ما المقصود بكل من :

أ- تشابه الكتاب ومثانيه ؟ ب- قشعريرة الجلود ولينها ؟

ج- أسوأ الذين عملوا وأحسنه ؟

٤- « ازدحم هذا المقطع بالأمثال القرآنية » ما الغرض من ذكر الأمثال في القرآن عامة وهذه السورة خاصة ؟

٥- اختاري واحداً من الأمثال القرآنية في هذا المقطع وفصِّلي القول فيه .

٦- « للماء دور في الحياة أيَّ دور » بيني ذلك كما عرفته في هذا المقطع مع بيان دلالة ذلك .

٧- وازني بين الموحدين والمشركين من حيث :

أ - تلقيهم للقرآن وتأثرهم به .

ب - جزاؤهم على ذلك في الآخرة .

٨- وضحي حقيقتي التوحيد والشرك من خلال ما ضربه الله مثلاً لهما ؟ وماذا تستفيدين من هذا المثل ؟

٩- منْ أظلم الظلمة ؟ ولماذا استحقوا هذا الوصف ؟ وما جزاؤهم عند الله ؟

١٠- مَن المتقون المذكورون في هذا المقطع؟ وما جزاؤهم عند ربهم؟ ولماذا استحقوا هذا الجزاء؟

١١- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى

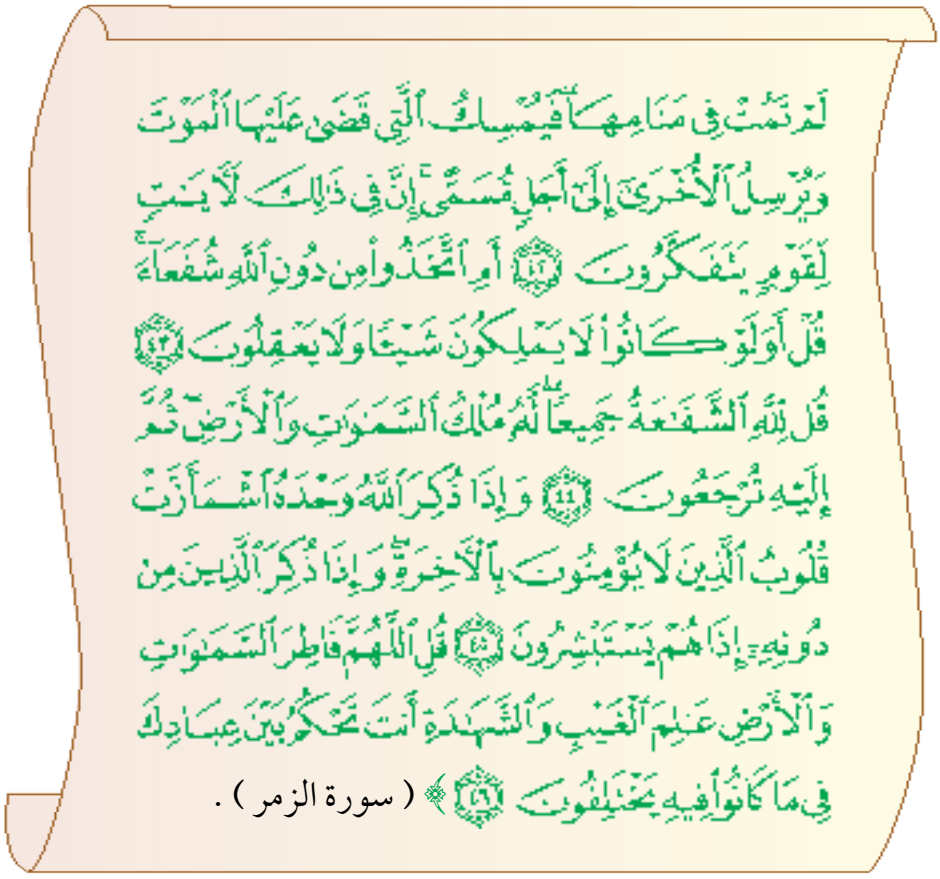
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۚ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الزمر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
كافٍ عبده	: كفيله وحسيبه، والمراد بالعبد الجنس ويدخل فيه محمد ﷺ دخولاً أولياً.
الذين من دونه	: المراد بهم كل ما عبد غير الله [1] .
ذي انتقام	: الانتقام : إنزال أشد العذاب والعقاب بمن يستحقه.

(١) ويدخل في هؤلاء ـ مع الأصنام والأوثان ـ الطواغيت والطغاة والظلمة والمتجبرين وغير ذلك مما هو واقع اليوم في كثير من البلدان .

برحمة : إن أراد أن يرحمني .

عليه يتوكل : التوكل الاعتماد على الله ، والالتجاء إليه والاستعانة به.

مكانتكم : حالتكم التي أنتم عليها ، وتمكنتم منها .

بوكيل : أي كفيل بهاديتهم ، أو رقيب وحسيب عليهم.

يتوفى الأنفس : يقبضها عن الأبدان ، إما كلياً كما في الموت ، أو جزئياً كما في النوم.

شفعاء : من يقضون حاجات الناس عند غيرهم ، والمراد بهم معبودات المشركين التي زعموا شفاعتها لهم عند ربهم .

أشمأزت : الاشمئزاز الازورار والإعراض ، والمراد : انقباض القلب وضيق النفس.

يستبشرون : الاستبشار : انبساط البشرة وارتخاؤها ، والمراد فرحهم وابتهاج قلوبهم.

الغيب والشهادة : الغيب : ما غاب وخفي عن الأنظار والأبصار من الأسرار وغيرها، والشهادة : ما يظهر للأنظار وتشهده الأبصار.

المعنى الإجمالي للآيات :

تكشف بداية هذا المقطع عن هذا التقرير الجازم، من كفاية الله لعباده الموحدين المخلصين ، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ليعيشوا مع ربهم في أمان واطمئنان يجهرون بعبادته وتوحيده ، وما داموا في حراسة ربهم فماذا يجدي إذن تخويف المشركين لك ـ أو لأي مؤمن ـ بمن هم دون الله ، بل بمن لا نفع منهم أو ضرر؟ [1] ، فكيف جهل هؤلاء هذا الأمر وغفلوا عنه ؟ ، ولكنه الضلال الذي استحقوه فقضى عليهم به ، وما لهم من هادٍ يرشدهم إلى الخير ، أو يخلصهم من ضلالهم أبداً ، كما أن من هداه الله إلى الحق لا مخرج من هذه الهداية حيث لا راد لإرادة الله في الحالين فهو القوي الغالب المنزل العذاب بأعدائه والمنتقم منهم أبداً لأوليائه.

(١) روي عن معمر أنهم كانوا يقولوا للنبي ﷺ : « لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلَتُخبِلَنَّك» فتح الباري . ٨/ ٥٤٨.

ويجيء تقرير عزة الله ونفاذ إرادته ، وافتقار الحول والطول للمعبودات غيره في صورة إقامة الدليل على بطلان الشرك ، وغفلة المشركين في عبادة غير الله ، فلقد كانوا يقرون ـ عند سؤالهم مَنْ خلق السماوات والأرض ـ أنه الله ، وهنا يوجه الله رسوله ﷺ أن يواجههم بهذه الحقيقة الفطرية، كيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالقهم والحال أن معبوداتهم لا تستطيع كشف ما يريده الله برسوله ﷺ من ضر، أو تمنع ما يريده الله به من الخير ؟ وما دام الأمر كذلك ، فالله وحده كافٍ عباده وحسيبهم، وعليه وحده يعتمدون وبه يستعينون ، فهو نعم المولى ونعم النصير.

وعند وضوح الحجة عليهم هكذا ، يأمر الله رسوله بتهديدهم وتوعدهم ، أن اعملوا على طريقتكم وما تعتقدون ، فأنتم وشأنكم وأنا وشأني ، أعمل على طريقتي ومنهجي ، وسوف تعلمون من منا على طريق الضلال، حيث يغشاه العذاب والخزي في الدنيا ، ثم يكون له في الآخرة عذاب دائم ومقيم .

ومع هذه المفارقة يعلم الله رسوله ﷺ ألا يكترث لضلالهم ، لأن مهمته ـ فحسب ـ إبلاغ الناس رسالة ربهم ، وكتابه الذي أنزله لهم مشتملاً على الحق ليهتدوا به فمن عمل بما فيه واهتدى بهديه فلنفسه بغى الخير ومن حاد عن بيان الكتاب وضل عن طريق الحق فيه فإنما يبخس نفسه ويظلمها ، أما أنت يا محمد فلست مسؤولاً عما يختارون أو رقيباً على أعمالهم :

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ [1] [هود : ١٢] ، فالناس جميعاً في قبضته في كل أحوالهم من صحوهم ونومهم ، وحياتهم ومماتهم ، فهو يقبض أنفسهم حين موتهم وعند نومهم ، فما استوفت أجلها من النفوس وقضى عليها بالموت أمسكها عنده ، وما لم تستوف أجلها أرسلها لتعلق ببدنها إلى أن يحل أجلها المسمى ، كما قال ﷺ : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فأغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » [2] ، وفي هذا التوفي للأنفس عظات عجيبة ، ودلالات بليغة على كمال قدرة الله الباهرة لمن يتفكر ويتدبر.

---

(١) وهذا قبل الأمر بالجهاد.

(٢) أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة ، صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٤ كتاب الذكر ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

وما دامت الأنفس ـ هكذا ـ في قبضة الله فماذا ينفع المشركين من وسائطهم ورسائلهم التي يزعمون شفاعتها لهم عند ربهم ، والشفاعة لا تكون : ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم :٢٦][1] ، ولهذا يجيء توجيه الله لرسوله ﷺ بالتهكم بهم في هذا السؤال الساخر المستنكر : أيشفعون لكم عنده ، ولو كانوا لا يملكون شيئاً أي شيء فضلاً عن هذه الشفاعة ، كما لا يعقلون أي شيء فضلاً عن عبادتكم إياها ؟ إنما الشفاعة كل الشفاعة لله وحده ؛ إذ له وحده الملك التام لما في السماوات والأرض ، لا يخرج على إرادته أحد في ملكه ، ولا مهرب أو مفر من الرجوع إليه والمصير إلى ثوابه أو عقابه .

وثمة تناقض آخر بين إقرارهم بالخالق وشركهم به ، ويتمثل في صورة نُفْرَتهم وانقباض قلوبهم عند سماع التوحيد ، وما يذكّر به ؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب ، أما إذا ذكرت معبوداتهم وطغيانهم ، فرحوا واستبشروا وأقبلوا على القول في بهجة وبشاشة ، ومثل هؤلاء لا فلاح في مواجهتهم إلا بتذكيرهم بنداء الفطرة الخالصة ، الذي تنطق به جميع الموجودات ، وتشهد بوحدانية الله ورد الأمر كله إليه ، فهو منشئ السماوات والأرض ، العالم بشؤونها الظاهرة والباطنة ، وأمورها الغائبة والحاضرة ، وهو الحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه من التوحيد والشرك ، حيث يثبت الموحدين المحسنين ، ويعاقب المشركين الظالمين .

من فوائد الآيات :

١- أن أولياء الله من عباده في حراسته فهو كافيهم وحسيبهم ومن كان مع الله بالطاعة والإنقياد كان معه بالحفظ والنصر والتأييد.

٢- نفاذ قضاء الله ومضاء إرادته ؛ إذ لا هادي لمن أضله الله ولا مضل لمن هداه.

٣- جهالة المشركين وتناقضهم في إقرارهم بالربوبية لله ، وإشراكهم معه آخرين في عبادتهم .

(١) لا تكون الشفاعة من غير اللّه إلا بإذن له من اللّه ورضاه عن المشفوع له .

-٤ اختلاف منهج المؤمنين وطريقهم عن منهج المشركين وطريقهم ، كل يعمل على شاكلته وطريقته.

-٥ مهمة الرسول ﷺ تبليغ الأمة وإنذارها دون هدايتها ؛ إذ ليس عليهم بمسيطر ولا وكيل ، هذا قبل أن يؤمر بالجهاد .

-٦ من أراد الهادية فعمل بكتاب الله الحق فلنفسه جاء بالخير ، ومن أبى وأعرض فعليها جنى وجلب الشر.

-٧ نفوس البشر كلها في قبضة الله يتوفاها فيمسك ما انتهى أجلها ويرسل الأخرى لتستوفي أجلها.

-٨ الشفاعة لله وحده ولا شفاعة لغيره من الأنبياء وغيرهم [١] ، إلا من أذن الله له أن يشفع ورضى عن المشفوع له .

-٩ من أبرز الدلائل على شرك المشركين اتخاذهم الشفعاء وفرحهم بذكرهم ، ونفورهم من التوحيد وذكر الله .

-١٠ علم الله الشامل لكل شيء وفصله بين العباد فيما اختلفوا فيه في الدنيا، ومحاسبتهم على ذلك.

(١) راجعي : العقيدة الواسطية وشرحها ص ١٥٦-١٥٨ .

١ ـ وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « كافٍ عبده ، ذي انتقام ، يتوكل ، وكيل ، يتوفى ، اشمأزت ».

٢ ـ ما موضوع هذه المقطع؟ وضحي التقريرات التي عرض لها في بداية مع بيان الفائدة منها.

٣ ـ عرضت الآيات استحالة تبديل إرادة الله من أية قوى ، وضحي ذلك من خلال تفسير الآيات.

٤ ـ ما معنى أمر الرسول ﷺ لقومه بالعمل على مكانتهم؟ وهل تعرفين لذلك نظيراً في القرآن؟

٥ ـ ما حدود مهمة الرسول ﷺ مع أمته؟ وماذا تعرفين من الآيات في ذلك؟

٦ ـ ما الفرق بين الموت والنوم فيما عرفتِ من تفسير آية توفي الأنفس؟ وما العبرة المستفادة من الآية؟

٧ ـ ما معنى الشفاعة؟ ولمن تثبت من غير الله؟ وما الشرط في ذلك ؟

٨ ـ ما الأمارات البارزة التي يُعرَف بها المشركون؟ ولماذا عرضتهم الآيات في هذه الصورة؟ وماذا يمكن مواجهتهم به لردهم إلى فطرتهم التي خلقهم الله عليها؟

٩ ـ اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

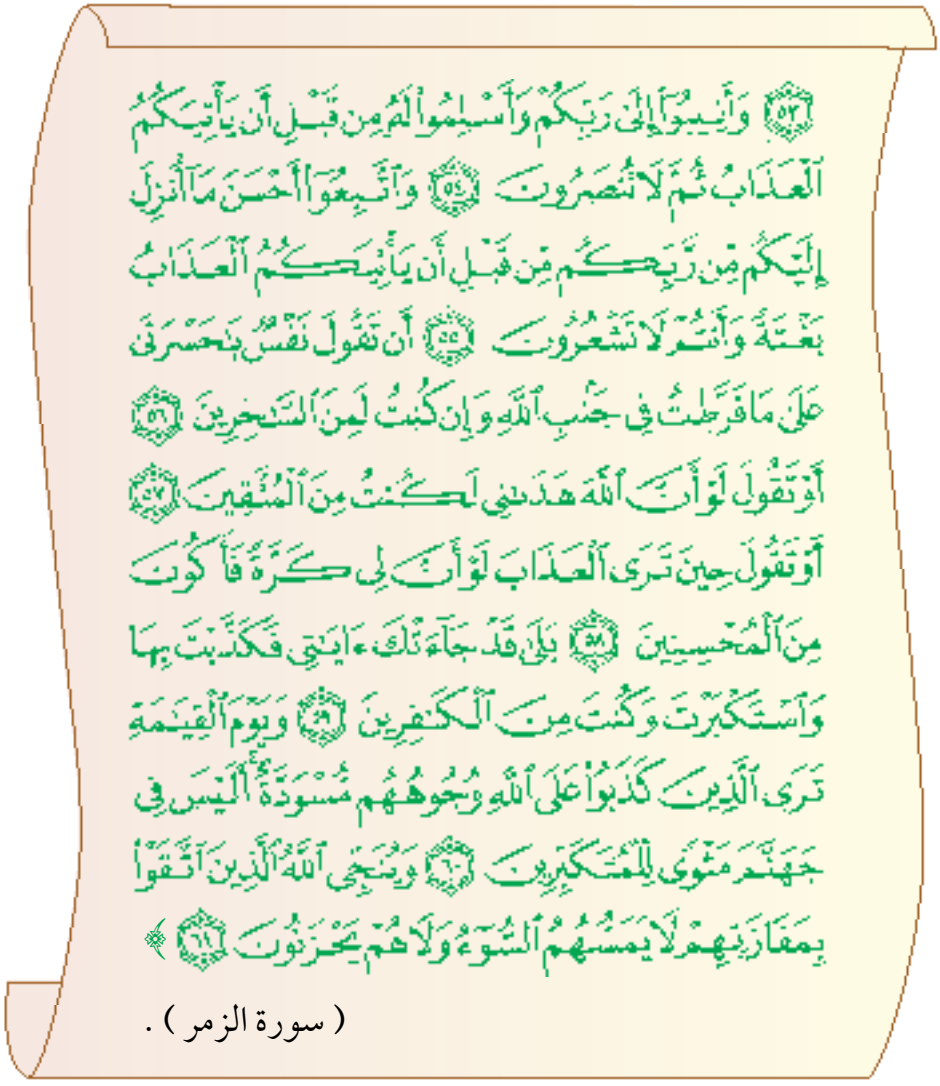

﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

(سورة الزمر) .

سـبب النـزول :

أخرج البخاري والواحدي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناساً من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن. لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟

فنزل : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ . . . ﴾ [1]، وأخرج النحاس عنه قال: ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ ﴾ ، وقال آخرون: إلى سبع آيات منها [2].

معاني المفردات

الكلمة	معناها
لافتدوا به	: قدموه فدية لهم مما هم فيه.
بدالهم	: ظهر لهم وبان ، من البدو ، وهو الظهور.
يحتسبون	: يظنون ويتوقعون ، يعني : لم يكن في حسبانهم.
حاق بهم	: نزل بهم ، وأحاطهم من كل جانب.
فتنة	: محنة واختبار ، وبلاء واستدراج.
بمعجزين	: فائتين من عقاب الله ، فلا يعجز الله أحدٌ من خلقه.
يبسط .. ويقدر	: بسط الرزق سعته وتكثيره ، وقدره تضييقه والتقتير فيه.
أسرفوا	: الإسراف تجاوز الحد في كل أمر ، والمراد هنا الإفراط في المعاصي والاستكثار منها.
ولا تقنطوا	: لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته.
أنيبوا وأسلموا	: الإنابة : الرجوع إلى الله بالتوبة ، والإسلام : الاستسلام له بالطاعة والانقياد.
بغتة	: من المباغتة ، وهي المفاجأة.

(١) راجعي فتح الباري كتاب التفسير باب يا عبادي الذي أسرفوا ٨/ ٥٤٩، أسباب النزول ص ٣٩٠ .

(٢) راجعي فتح القدير ٤/ ٤٤٧، ٤٧٢ .

فَرَّطتُ : من التفريط، وهو التقصير في تحصيل الشيء وإهماله.

جنب الله : الجانب الذي يأوى إليه، والمراد طاعة الله وعبادته.

كَرَّة : رجعة إلى الدنيا ، وعودة إليها .

آياتي : الآية العلامة ، تطلق على الدليل والبرهان ، والعظة والعبرة ، والآية من القرآن .

بمفازتهم : المصدر الميمى للفوز ، والمراد سعادتهم ؛ لنجاتهم من الشر.

المعنى الإجمالي للآيات :

اختتم المقطع السابق بالإشارة إلى رجوع الخلق إلى الله ليحكم بينهم، ويشرع هذا المقطع في عرض أحوال الظلمة والتائبين منهم في الدنيا عند رجوعهم إلى الله، ويقرر السياق هول ما يلاقيه الظلمة المشركون من العذاب في اليوم الآخر، بحيث يهون عليهم افتداء أنفسهم منه بجميع ما في هذه الأرض من الذخائر والأموال، بل بأضعاف ذلك لو كان ملكاً خالصاً لهم، ويزداد فزعهم وهولهم حين يظهر لهم من عذاب الله وسخطه ما لم يكن في حسبانهم أو يرد لهم على بال، كما يشتد ألمهم حين يظهر لهم مع ذلك أن ما ظنوه من أعمالهم صالحاً، كشركهم بالله وعبادتهم غيره، هو أسوأ ما اكتسبوه من الأعمال، وحينذاك يحيط بهم العذاب، ويحق عليهم وعيد الله الذي استهزأوا به كثيراً وأنكروا وقوعه.

ومثل هؤلاء الظلمة كثير مِمَّن تفسد فطرتهم ، فلا يعرفون الله إلا في الشدة والضراء ، فيدعونه ليزيل شدتهم ويكشف ضرهم ، ثم إذا منحهم الله من نعمة ووسع في أرزاقهم زعموا إنما أوتوا هذا كله بجدهم ، ولعلم عندهم بأمور الدنيا وطرق المكاسب فيها :

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦) ،

نعم لا يشعرون أن هذا العطاء والإنعام اختبار لحالهم، أيشكرون أم يكفرون، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، فلهذا يقولون ما يقولون.

ولم يكن المشركون بدعًا في ذلك ، فقد قالها من قبلهم من كانوا على شاكلتهم من الأمم السابقة، قالها قارون في الزمن القريب منهم : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ (القصص: ٧٨).

ولكن هؤلاء لم يغن عنهم كسبهم شيئاً بل ضلوا بزعمهم هذا حين أصابهم جزاء كسبهم السيء وزعمهم الباطل، كما يصيب هؤلاء الظلمة من المشركين مثل ما أصاب من قبلهم من الغابرين حيث قالوا مثل قولتهم: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (سبأ : ٣٥). فلم يفوتوا من عقاب الله وعذابه، بل ذاقوا وبال كسبهم قحطاً وقتلاً وأسراً .

أما إبطال دعاوى هؤلاء وأولئك فيجيء رداً صريحاً من الله تعالى، بإرجاع سعة الرزق وضيقه إلى محضِ مشيئته وإرادته، فربما كان القادر العارف بضروب الكسب مضيقاً عليه في رزقه، وموسعاً على غيره من الضعفاء الجاهلين بهذه الأمور، وفي ذلك من العظات والعبر ما لا ينتفع به إلا المؤمنون، الذين يعرفون أن مرد الرزق إلى الله وحده دون سواه .

ثم يعود السياق إلى إطماع هؤلاء الظلمة في مغفرة الله ورحمته ، إذا هم رجعوا إليه وولجوا أبواب التوبة ، غير قانطين ولا يائسين من رحمته ، فإن الله يغفر ذنوبهم جميعا ، ولو كانت مثل زبد البحر ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١١٠) ، فمن أصر من العباد على ظلم نفسه ولم يبادر بالتوبة، فقد أبى غفران الله ورحمته،وهو الغفور لعباده الكثير الرحمة بهم[1].

وهكذا يفتح الله أبواب الرجاء واسعة أمام عباده ، ليئوب الشارد منهم ، ويستسلم العاصي ، ويعودوا عباداً طائعين لله وهم في فسحة من العمل ، وقبل أن يأتيهم عذاب الله ، ثم لا يجدوا لهم من يمنعه

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله أو ابن الله ومن زعم أن عزيرا ابن الله فقال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٤)، كما دعا إلى التوبة من هم أعظم قولاً من هؤلاء من قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤)، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨) قال : « فمن آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عزوجل » . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٩.

عنهم، وليتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم كتاب الله الذي بين أيديهم ، فيعملوا بأوامره ويجتنبوا مناهيه، من قبل أن يجيئهم عذاب الله فجأة دون تحسب أو توقع ، فيحول بينهم وبين الاتباع والعمل.

وعند ذاك يكون ندمهم كبيراً ، وتكون حسرتهم شديدة على تفرطيهم في حق الله وسخريتهم المريرة بدين الله وأهله ووعيده الذي يلقونه آنئذ ، أو يتعللون أن الله لم يرشدهم إلى الاتباع والعمل بطاعته ولو شاء الله هدايتهم لكانوا من المتقين [1] أو يتمنون عند رؤيتهم للعذاب أن تكون لهم دعوة إلى الدنيا ، لتدارك ما فاتهم وإحسان عقيدتهم وأعمالهم ، ولكنها أمنية لا تنال ، بل إنها كلمة يقولونها وحسب ، ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (الأنعام : ٢٨).

ولهذا يجيء رد الله على تمنيهم حاسماً كلا : لا عودة ولا رجوع فقد جاءتكم الآيات ودلائل الإيمان في الكتاب المنزل إليكم وفي الخلق من حولكم، ولكنكم أعرضتم واستكبرتم عن الاتباع والهداية ، وفضلتم على ذلك أن تكونوا من الكافرين المكذبين .

ويختتم المقطع باطلاع رسول الله ﷺ وكل من تصح منهم الرؤية على صورة الكاذبين على الله، المدّعين أن له ولداً أو شريكاً ، حيث تكون وجوههم يوم القيامة مُسْوَدَّة من الخزي والحزن ، لما شاهدوه من غضب الله ونقمته ، وأحاط بهم من عذابه ، وقد كانوا في الدنيا من المتكبرين المستنكفين عن الإيمان واتباع الحق ، فهذه جهنم موئلهم الأخير وسجنهم الأبدي ، أما فريق المتقين الذين عاشوا في حذر من الآخرة وطمع في رحمة الله ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ لأنهم أمنوا من كل فزع، ونجوا من كل شر ، وفازوا وسعدوا برضا الله عز وجل .

(١) هذا من علل المجرمين الباطلة كما حكى الله عنهم : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا . . . ﴾ (الأنعام : ١٤٨) .

مـــن فـــــوائـد الآيـــات :

١ ـ لا فداء للظالمين من عذاب الله يوم القيامة ، ولو كان فداؤهم كل ما يُمْلَك في هذه الدنيا.

٢ ـ أن عذاب الله للظالمين والمشركين فوق ما يخطر ببالهم وأسوأ مما يتوقعون أو يظنون.

٣ ـ فساد فطرة الكثير من المتْرفين المنَعَّمين ، وزعمهم أن ترفهم ونعيمهم أتوه بجدهم وعملهم.

٤ ـ بسط الرزق وقبضه قائم على محض مشيئة الله ، ووفق حكمته وتقديره .

٥ ـ عدم اليأس والقنوط من رحمة الله، فهو يغفر ذنوب البشر جميعاً إن تابوا إليه ورجعوا إلى جنابه.

٦ ـ ضرورة التعجيل بتوبة العباد وإسراعهم في طاعة الله واتباع منهجه، قبل فوات العمر وضياعه.

٧ ـ الدنيا دار العمل، والندامة في الآخرة لمن قصر في ذلك، وتعلل بالأعذار ، وتمنى العودة إلى الدنيا لا ليحسن العمل .

٨ ـ سواد وجوه المشركين الكاذبين على الله يوم القيامة، واستقرارهم في جنهم مثوى المتكبرين والكافرين.

٩ ـ أَمْنُ المتقين وفوزهم في الآخرة وسعادتهم بالخير ورضا الله ، ونجاتهم من الشر وغضب الله.

١- وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « افتَدَوا ، حاق ، أسرفوا ، تقنطوا ، فرطتُ ، كرَّه ، مفازتهم ».

٢- ما موضوع هذا المقطع ؟ وكيف صورت الآيات هول يوم القيامة ؟ وما المراد بالظَّلمة المذكورين ؟

٣- « تُفسِدُ النعم فطرة الكثير من بني الإنسان » كيف صورت الآيات ذلك؟ وما جزاء هؤلاء عند الله؟

٤- ما القاعدة في توزيع الرزق على العباد؟ وما الحكمة في بسطه تعالى لقوم وقَدْرِه على آخرين؟

٥- هل يقبل الله توبة الكافر ويغفر ذنوبَه؟ وكيف نفهم الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾؟

٦- حثت الآيات على اغتنام العمر في طاعة الله والإسراع بالتوبة ، اذكري الآيات الدالة على ذلك واشرحيها.

٧- لماذا يتحسر الظَّلمة والمتكبرون في الآخرة ؟ وبمَ يتعللون ؟ وماذا يتمنون ؟ وكيف رد الله عليهم ؟

٨- ما صورة الكاذبين والمتقين ومصيرهم في الآخرة ؟ وماذا تحفظين من الآيات الكريمة في ذلك؟

٩- اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع، مع شرح واحدة منها.

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا
ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ
أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ
وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ
٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ
٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠

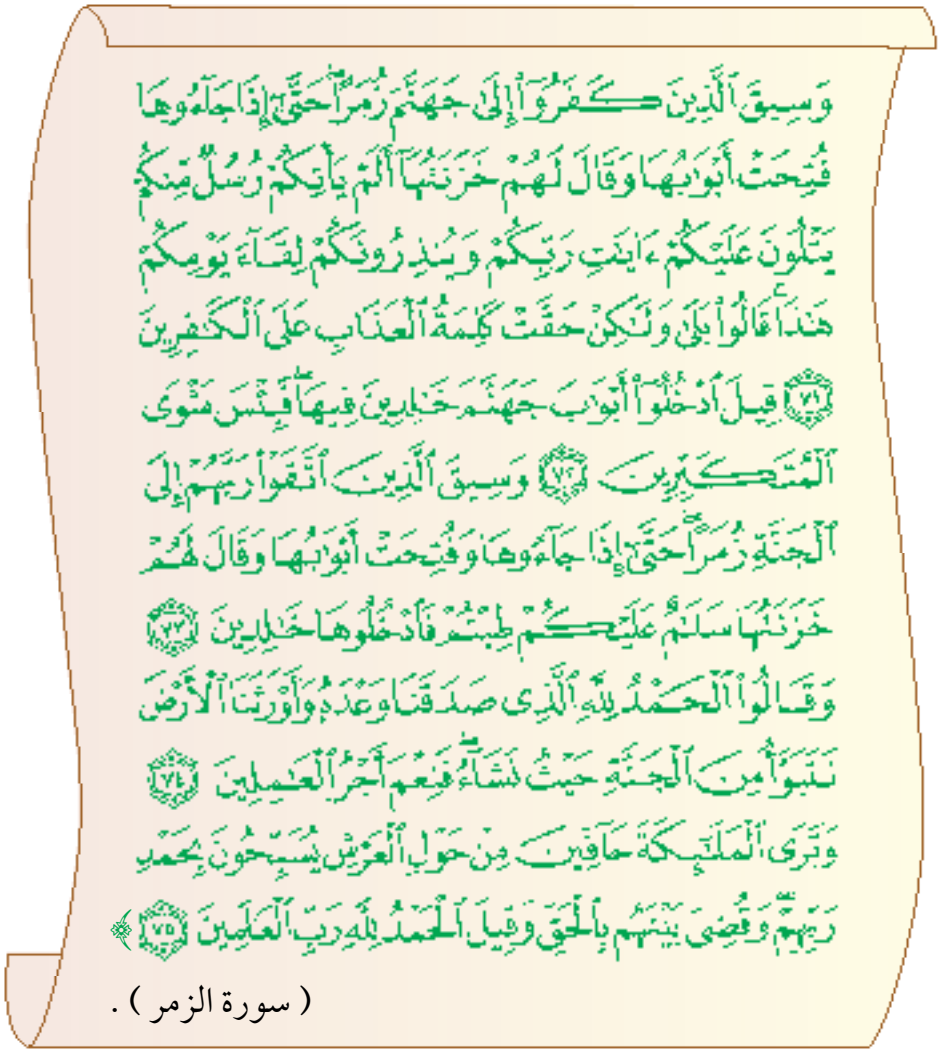
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(سورة الزمر) .

معاني المفردات :

الكلمة	معناها
مقاليد	: جمع مقليد ، وهي خزائن السماوات والأرض أو مفاتيحها ، والمراد أن أزمة الأمور بيده .

ليحبَطَنَّ : من الإحباط ، وهو : الإبطال والإفساد .

ما قدروا الله : ما عظموا الله، وما عرفوا له قدره.

قَبْضَتُه : المرة من القبض على الشيء ، وفي ذلك دلالة على ثبوت القبضة لله على ما يليق بجلاله تعالى.

بيمينه : اليمين معروفة، وإضافتها إلى ضمير الجلالة لتأكيد طيّ السماوات بيمينه تعالى[1].

فصعق : الصعق الغشيان والفزع من هزة أو صوت شديد ، والمراد به موت المصعوق.

إلا من شاء : المستثنى من الصعق غيرُ مُعَيَّن ، وقيل : الشهداء أو مشاهير الملائكة ، كجبريل وحملة العرش وغيرهم.

أشرقت : أضاءت من الإشراق وهو الإضاءة .

بنور ربها : المراد نور الله الحقيقي ، إذا تجلى للفصل بين الخلائق.

ووضع الكتاب : كتاب أعمال العباد وصحائفهم ، والمراد بسط الكتاب والصحائف لحساب الخلق.

الشهداء : الذين يشهدون على الأمم من الأمة المحمدية ، أو الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد[2].

ووفيت كل نفس : استوفت ما تستحق وتناولته وافيًا تامًا.

وسيق : من السَّوْق وهو دفع الناس إلى السير ، إما بعنف وإيلام أو لطف وإكرام.

زُمَراً : جمع زمرة وهي الفرقة ، والمراد : جماعات وأفواج متفرقة .

---

(١) هذا ولا يفهم من نسبة اليمين لله مشابهتها ليمين العباد، بل هي إحدى الصفات الخبرية كالعين والقدم الثابتة لله تعالى ما يليق بجلاله وكماله ﴿ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

(٢) لكل من القولين ما يدل عليه من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة : ١٤٣) ، ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (سورة ق: ٢١).

خزنتها : جمع خازن ، والمراد جهنم من الزبانية ، وحراس الجنة من الملائكة.

وأوَرثَـنا الأرض : أي أرض الجنة أُرِثُوها، كأنها صارت من غيرهم إليهم .

نتبوأ : من التبوء وهو اتخاذ المنزل .

حافِّين : محيطين ومحلقين، وهو جمع لا واحد له ، إذا لا يقع إلا للمجتمعين على الشيء المحيطين به.

العرش : هو في اللغة سرير الملك ، وعرش الله هو السرير ذو القوائم الذي هو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات [1].

المعنى الإجمالي للآيات :

يعرض هذا المقطع الأخير من السورة ، حقيقة التوحـيد من جانب اختصاص الله وحده بخلق المخلوقات جميعها وأنه رب جميع الأشياء ومليكها ، فكلها موكـولة إليه ومشمولة بتدبيره ورعايته ؛ إذ إن أزمة الأمور بيده ، وله وحده قياد السماوات والأرض ومقاليدها ، على ما تنطق به آيات الله في كتابه وخلقه ، فأما الذين كفروا بذلك فأولئك هم الخاسرون ؛ لأنهم خسروا في الدنيا أمن المؤمنين ، وخسروا في الآخرة الجنة وصاروا إلى الجحيم .

ولما كانت حقيقة التوحيد واضحة جلية فقد نعى الله على المشركين جهلهم بها وأمر رسوله ﷺ أن يستنكر عرضَهم عليه، أن يعبدَ غيرَ الله ويشاركهم عبادة آلهتهم ويَعقُب هذا النعي تحذير من الشرك وتهديد من مغبته ، ويتوجه إلى الرسـول ﷺ والرسل من قبـله ـ ولكـنه تعريض بغـيرهم [2] ـ إذ أوحى الله إليه وإلى من قبله منهم إن هو أشرك بالله وأعرض عن توحيده، ليُـبْطِلَنَّ أعماله ويفسدها، وليكونن ممن خسروا حظوظهم في الدنيا والآخرة، ومن هنا يختم هذا التحذير بأمره ﷺ بعبادة الله وحده ، وأن يكون من عباد الله الشاكرين، الذين يعرفون لله عظمته وقدره اللائقين به .

---

(١) راجعي: العقيدة الواسطية وشرحها ص ٧٦.

(٢) هذا التحذير للأنبياء على سبيل الفرض والتقدير للإعلان بشناعة الشرك وقبحه ؛ إذ إن طائف الشرك لا يتطرق إلى قلوب الأنبياء أبداً ، فإذا حذروا منه وكان موجباً لإحباط عملهم، كان غيرهم من أممهم أولى بذلك منهم .

أما هؤلاء أشركوا بالله بعض خلقه، فما عظموه حق عظمته، ولا عرفوا له قدرته، تلك العظمة وذلك القدر اللذين تكشف لنا الآيات عن جانب منهما يوم القيامة، حيث الأرض كلها بفجاجها وأرجائها في قبضة الله يصرفها كيف يشاء، والسماوات على عظمتها وسعتها قد طواها الله بيمينه، كما يطوي السجل الكتب ويحتويها في تمكن واقتدار، فسبحان من كانت هذه قوته وقدرته، وتنزه عما يشركون به من المعبودات[1].

وعلى ذكر عظمة الله وقدرته تعرض الآيات مشهد القيامة الكبرى بنفخة إسرافيل في القرن التي يموت بها أهل الأرض والسماوات ، غير من شاء الله إرجاء موتهم وقبضهم إليه ، كملك الموت وصاحب الصور وغيرهما، ثم تكون النفخة الأخرى التي يقوم لها الخلق من قبورهم ينظرون أهوال القيامة ، وينتظرون حساب ربهم ، وساعتها تشرق أرض المحشر وتضاء ساحة الحساب بنور الله الذي لا نور غيره في هذا المقام ، ويهيؤ الموقف كله للحاسب فتوضع صحائف الأعمال وتنشر الكتب ، ويجاء بالنبيين للشهادة على أممهم ، والحفظة والشهود من الملائكة ليشهدوا على العباد، وتكتمل الحجج وتنقطع المعاذير بشهادة أمة محمد ﷺ ، ويتم القضاء بين الخلق بالحق والعدل ، وتوفى كل نفس بما كسبت واستحقت من خير أو شر ، علموه أو لم يعلموه ، فالله أعلم بما يفعلون لا يغيب عن علمه شيء ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧). وتنفض ساحة القضاء فيساق الكفار المشركون إلى جهنم، ويندفع ركبهم أفواجاً متدافعة ، وما أن يصلوها حتى تفتح أبوابها سريعاً تعجيلاً لعقوبتهم حيث يستقبلهم خزانها وسدنتها بالتقريع والتوبيخ في هذا السؤال الكاشف عن سبب مجيئهم إلى جهنم ألم يرسل الله لكم رسلاً من جنسكم تفهمون عنهم ما يأمرونكم به من طاعة ربكم وتوحيده ، ويقيمون لكم الحجج والبراهين على ذلك؟، ويخوفونكم لقاء هذا اليوم، الذي صرتم إليه وذقتم أهواله ؟

---

(١) روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود] قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ . . . ﴾ راجعي : فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ . . . ﴾ ٨/ ٥٥٠، الفتح الرباني ١٨/ ٢٦٢.

وسرعان ما يقرون ويعترفون ـ فقد انكشف الأمر وظهر ـ بلى، قد جاءتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا بهذا اليوم وما سنلقاه، ولكنا كذبناهم وعدلنا عن الحق إلى الباطل، فوجب علينا عذاب ربنا، وحقت علينا كلمته ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة : ١٣) ، وعند اعترافهم وإقرارهم هذا يقال لهم : ادخلوا جهنم من أيّ أبوابها السبعة شئتم، فامكثوا فيها خالدين لا خروج لكم منها؛ إذ هي مصيركم الأخير ومثواكم مع المتكبرين، فبئس مصيركم ومثواكم.

أما ركب الجنة من المتقين الموحدين ، فيساقون إليها وفوداً وجماعات يتلو بعضها بعضاً ، المقربون والأبرار والأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ويسرع بهم جميعاً لإكرامهم وإعزازهم في دار النعيم، حتى إذا جاءوها وأبوابها الثمانية مفتحة لاستقبالهم، وسعدوا وفرحوا بترحيب خزانها واستقبالهم الطيب، حيث يهنئونهم بهذا النعيم، ويبشرونهم بالأمن والسلامة، فقد طابوا في الدنيا وتطهروا من دنس الشرك، فطاب جزاؤهم، وطاب مقامهم فلينعموا فيها خالدين لا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها.

وعند معاينة المتقين نعيمهم في دار المقامة يلهجون بحمد الله وشكره ، فقد تحقق لهم ما وعدهم الله به على ألسنة الرسل عليهم السلام ، وأورثهم أرض الجنة ، وكان لهم منها ـ مع منازلهم ـ منازل غيرهم من الكفار لو آمنوا ، فهم يسكنون فيها حيث يشاءون ، وينزلون منها حيث يريدون ، ونعم الأجر هذا للعاملين بطاعة الله ، المقرِّين بوحدانيته .

وأخيراً يختم مشهد القيامة هذا ـ كما تختم معه سورة التوحيد ـ بما يناسب الموضوع ، وما يغمر النفس رهبة وجلالاً، فالملائكة محيطون بعرش الله، ويسبحون ويحمدون ويشكرون في خشوع واستسلام ، وعباد الله قد قضي بينهم بالحق والعدل ، فسيق إلى النار أصحابها ، وإلى الجنة أصحابها، والكل يتوجه بالحمد لصاحب الحمد ، الذي خلق فسوى وأرشد فهدى ، وقضى فعدل ، وأثاب فأجزل ، فهو رب العالمين الذي له الحمد في الأولى والآخرة ، والحمد لله رب العالمين .

مـــن فـــــوائـد الآيـــات :

١ ـ تفرد الله بالخلق لجميع الأشياء والقيام عليها وتصريفه لشؤون السماوات والأرض، وملكه زمامهما.

٢ ـ خسران المشركين للدنيا والآخرة، لجهلهم والمطبق بوحدانية الله، وعدم تقديرهم وتعظيمهم له.

٣ ـ عظمة الله وسيطرته المطلقة على الأرض والسماوات، اللتين لا تخرجان عن قبضته ويمينه.

٤ ـ صفات الله الخبرية والذاتية كالقبضة واليمين والعين وغيرها، ثابتة لله على ما يليق بجلاله وكماله.

٥ ـ إماتة الله للأحياء في الأرض والسماوات بنفخة إسرافيل في آخر الدنيا وبعثه لهم بنفخة أخرى.

٦ ـ قضاء الله بين العباد بالحق، واستيفاء الخلق ما يستحقون من جزاء، وسوقهم إلى مصيرهم الأخير.

٧ ـ إقرار المشركين في الآخرة بالتوحيد وصدق الرسل، واعترافهم باستحقاق العذاب وخلودهم في جنهم .

٨ ـ خلود المتقين في الجنـة وطيب مقـامهم بها ، لطيب نفوسهم وتطهرها من دنـس الشرك والمعاصي.

٩ ـ لهج الخلق جميعاً يوم القيامة بالثناء على الله الحق ، وتسبيح الواحد الأحد، والحمد لصاحب الحمد.

١ ـ وضحي معاني الكلمات القرآنية التالية : « مقاليد ، ليحبَطن ، قبضته ، صعق ، سيق ، نتبوأ ، حافين » .

٢ ـ ما موضوع هذا المقطع؟ ومن أيّ الآيات نفهم قيومية الله على جميع الموجودات؟ ولماذا خسر الكافرون؟

٣ ـ ما سبب نعي الله على المشركين جهلَهم المطبِق؟ وكيف كان تحذيره لهم؟ وبماذا حذرهم؟

٤ ـ كيف صورت الآيات عظمة الله وقدرته يوم القيامة؟ وماذا دلت عليه الآية من صفات الله ؟

٥ ـ ما عدد نفخات إسرافيل؟ وما أثر كل منها؟ وماذا تعرفين من عناصر القضاء في الأخرة؟

٦ ـ يساق الناس بعد حسابهم إلى مصائرهم، ما الفروق البارزة بين سوق الكافرين وسوق المتقين؟

٧ ـ ما السبب الأساسي في استحقاق الكافرين جهنم وعذابها المقيم، واستحقاق المتقين للجنة وطيب النعيم؟

٨ ـ وضحي بأسلوبك مشهد خشوع الخلق في الآخرة، ولهجهم بالثناء والحمد لله رب العالمين .

٩ ـ اذكري ثلاث فوائد أفدتها من هذا المقطع ، مع شرح واحدة منها .

أهم مراجع كتاب التفسير

١ ـ أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ).

٢ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

٣ ـ بذل المجهود في حل أبي داود ـ المحدث الشيخ خليل أحمد السهار نفوري الهندي (ت١٣٤٦هـ).

٤ ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ).

٥ ـ التبصرة في القراءات السبع ـ الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).

٦ ـ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٧ ـ تفسير المراغي ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي من أساتذة دار العوم سابقاً.

٨ ـ التفسير الواضح ـ الشيخ محمد محمود حجازي من علماء الأزهر.

٩ ـ الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي ـ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ).

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ).

١١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ).

١٣ ـ سنن الدارمي ـ الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ).

١٤ ـ شرح السنة وبيان اختلاف الفقهاء ـ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت٥١٦هـ).

١٥ ـ صحيح مسلم ـ الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ).

١٦ ـ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها ـ للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

١٧ ـ غيث النفع في القراءات السبع ـ الشيخ علي النوري الصفاقسي بهامش سراج القارئ لابن الناصح.

١٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

١٩ ـ الفتح الرباني في ترتيب سند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ أحمد عبد الرحمن البنا (ت ١٣٧٨هـ).

٢٠ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ).
٢١ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب (ت١٩٦٦م).
٢٢ ـ كلمات القرآن ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً.
٢٣ ـ لسان العرب ـ لابن المنظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ).
٢٤ ـ معالم التنزيل ـ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت٥١٦هـ).
٢٥ ـ المفردات في غريب القرآن ـ للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢هـ).
٢٦ ـ المكتفى في الوقف والابتداء ـ الإمام أبو عمر بن عثمان الداني الأندلس (ت٤٤٤هـ).
٢٧ ـ هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي ـ محمد إبراهيم شريف .

فهرس مقرر التفسير

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٤-٥
مقرر الفصل الدراسي الأول	
١ - تفسير سورة « يس »	٨-٤٨
بين يدي السورة	٨
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ١٢)	١٠
المقطع الثاني الآيات من (١٣ ـ ٢٩)	١٧
المقطع الثالث الآيات من (٣٠ ـ ٤٧)	٢٤
المقطع الرابع الآيات من (٤٨ ـ ٥٤)	٣٢
المقطع الخامس الآيات من (٥٥ ـ ٦٨)	٣٦
المقطع السادس الآيات من (٦٩ ـ ٨٣)	٤١
٢ - تفسير سورة « الصافات »	٤٩-١٠٦
بين يدي السورة	٤٩
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ١٠)	٥١
المقطع الثاني الآيات من (١١ ـ ٢١)	٥٧
المقطع الثالث الآيات من (٢٢ ـ ٤٠)	٦٢
المقطع الرابع الآيات من (٤١ ـ ٦١)	٦٧
المقطع الخامس الآيات من (٦٢ ـ ٧٤)	٧٣
المقطع السادس الآيات من (٧٥ ـ ٩٩)	٧٩
المقطع السابع الآيات من (١٠٠ ـ ١١٣)	٨٥

المقطع الثامن الآيات من (١١٤ ـ ١٣٢) ٩٠
المقطع التاسع الآيات من (١٣٣ ـ ١٤٨) ٩٤
المقطع العاشر الآيات من (١٤٩ ـ ١٧٠) ٩٨
المقطع الحادي عشر الآيات من (١٧١ ـ ١٨٢) ١٠٣

مقرر الفصل الدراسي الثاني

٣ - تفسير سورة « ص » ١٠٨-١٤٩
بين يدي السورة ١٠٨
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ١٦) ١١٠
المقطع الثاني الآيات من (١٧ ـ ٢٦) ١١٩
المقطع الثالث الآيات من (٢٧ ـ ٤٠) ١٢٥
المقطع الرابع الآيات من (٤١ ـ ٤٨) ١٣١
المقطع الخامس الآيات من (٤٩ ـ ٦٤) ١٣٧
المقطع السادس الآيات من (٦٥ ـ ٨٨) ١٤٣
٤ - تفسير سورة « الزمر » ١٥٠-١٩٥
بين يدي السورة ١٥٠
المقطع الأول الآيات من (١ ـ ٧) ١٥٢
المقطع الثاني الآيات من (٨ ـ ٢٠) ١٥٩
المقطع الثالث الآيات من (٢١ ـ ٣٥) ١٦٦
المقطع الرابع الآيات من (٣٦ ـ ٤٦) ١٧٣
المقطع الخامس الآيات من (٤٧ ـ ٦١) ١٨٠
المقطع السادس الآيات من (٦٢ ـ ٧٥) ١٨٨
مراجع الكتاب ١٩٦

شركة الطباعة الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية